الفصل الثاني

- أذربيجان في عصر ولاة بني أمية وبني العباس .
- تأثر أذربيجان بأحداث الدولة الأموية .
- دور أذربيجان في مواجهة هجمات الخزر .
- موقعة مرج الحجارة ١٠٣ هـ / ٧٢٠م .
- معركة الطين ١١٠ هـ / ٧٢٨م .
- موقعة مرج أردبيل ١١٢ هـ / ٧٣٠م .
- ولاية مروان بن محمد أذربيجان ١١٤ هـ / ٧٣٢م .
- أذربيجان في عصر ولاة بني العباس .
- حركة بابك الخرمي .

obeikandl.com

obeikandl.com

تأثر أذربيجان بأحداث الدولة الأموية :-

في بداية الفتوحات الإسلامية حقق المسلمون انتصارات كبيرة ، نجحوا خلالها في الوصول إلي جبال القوقاز وبلاد الخزر والأناضول . وحتى وفاة عثمان بن عفان كانت الأوضاع في هذه المناطق شبه مستقرة ، ولم يكن بها من القلاقل ما يهدد سيطرة الدولة الإسلامية حتى تفشت القلاقل والفتن في ربوع العالم الإسلامي ، ولم تلبث أن ازدادت عنفاً عقب مقتل الخليفة عثمان ابن عفان ونشوب الحرب الداخلية بين معاوية بن أبي سفيان الذي نادي بنفسه خليفة في دمشق وبين علي بن أبي طالب الذي تولي الخلافة في المدينة ثم الكوفة (١).

ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث المسماة بالفتنة الكبرى(٣٥ – ٤١هـ / ٦٥٦ – ٦٦١م) قد أثرت بالسلب على أذربيجان ومناطق القوقاز بعد أن قام معاوية بسحب قوات الشام بقيادة حبيب بن مسلمة من أرمينية والقوقاز، وقام علي بن أبي طالب باستدعاء الأشعث بن قيس بجزء من قواته من أذربيجان ليعضده في صراعه مع معاوية (٢).

وكأن العدو الرابض على حدود الدولة الإسلامية يتحين مثل هذه الفرصة فاستغلت الدولة البيزنطية هذه الأحداث وخلو منطقة آسيا الوسطى من قوات يعتد بها فتوغلت فيها سنة٣٧هـ / ٦٥٧م وسيطرت على أجزاء شاسعة منها ، وغدت المنطقة الممتدة ما بين بلاد الكرج حتى باب الأبواب خارج نطاق سيطرة الدولة الإسلامية (٣).

---

(١) وللمزيد انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧ ، ص ٢٣٩ – ٢٦٣ ، عطاء الله تدين ، رويداد باي مهم تاريخ جهان ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٥٠ هـ ش ، ص ٤٧ – ٥٣ . وللمزيد انظر :
V.A Renouf : Outlin of General History , London, 1914, P. 190 ; Bernard lewis : The Arab in History, P. 61 - 63 .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٠٠ – ٢٠٢ ؛ المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠ – ٢١ ، إبراهيم العدوي الأمويون والبيزنطيون ، ص ١١٧ ؛ فايز نجيب إسكندر ، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج ، ص ٦٤ – ٦٥ ؛ صالح أحمد علي ، القبائل العربية في بلاد الشام زمن الخلفاء الراشدين،مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، العدد ٤، ١٩٨٧ ، ص ٢٨ . Muire · The Caliphat , P. 203 .

(٣) العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٢٩ ؛ إبراهيم العدوى ، المرجع السابق ، ص ١١٧ ؛ فايز نجيب ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ص ٦٤ – ٦٥ .
Haurt, Histoire des Arab, Tome.1, P. 252 .

وبعد انتهاء أحداث الفتنة سنة ٤١هـ / ٦٦١م بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١ - ٦٨٠م) فكان المتوقع أن يستأنف معاوية نشاطه الحربي الذي خبأ بعد وفاة عثمان بن عفان ولكن من الملاحظ أنه لم يكن في عهده خاصة المشرق إلا فتوحات قليلة وفي غالبيتها محاولات لإرجاع الناكثين إلي طاعة الدولة الإسلامية ، كما انصرفت جهود معاوية في هذا الإطار إلي القيام بالصوائف والشواتي على الحدود مع الدولة البيزنطية والاهتمام بالنواحي الحربية معها ، كما أن العراق لم يكن خاضعاً خضوعاً كاملاً لسيطرة معاوية ، مما يتيح له أن يسير الحملات من قاعدتي الفتوحات في المشرق البصرة والكوفة (١) استعاض معاوية عن هذا التقصير الحربي باستخدام مهاراته السياسية في الاهتمام بمدن أذربيجان وتأمين الوجود الإسلامي في مناطق جبال القوقاز ، ففي عام ٤٢هـ / ٦٦٢ سلك مع حكام جبال القوقاز طرق الترهيب فأرسل إليهم يدعوهم إلي العودة إلي سيطرة الدولة الإسلامية ونبذ سيطرة بيزنطة وتوعدهم إن لم يجيبوه ، وكانت الأمور والظروف السياسية والعسكرية تصب في مصلحة الدولة الأموية بعد أن تعافت من الفتنة ، فلم يجد هؤلاء الحكام بداً من إعلان الخضوع للدولة الأموية (٢).

وبدون الخوض في أوار حرب جديدة مع الأرمن استغل معاوية الانقسامات الداخلية الأرمينية والصراع على السلطة في إعادة السيطرة على هذا الإقليم (٣).

---

(١) شكري فيصل ، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، ص ١٤٤ ؛ فايز نجيب ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ص ٦٧ ، وللمزيد انظر :

Peter mansfild : The Arab, London, 1967, P. 39 .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ١٧٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٤٢٠ ؛ الشهابي ، تاريخ الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان ، ط القاهرة ، ١٩٠٠م ، ص ٥٥ ، وللمزيد انظر :

Peter mansfild : Op.ciT, P. 39 .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ٤٢٠ ؛ فايز نجيب إسكندر ، أرمينية بين البيزنطيين والأتراك والسلاجقة ، ص ١١٨ ؛ إبراهيم خميس ، معاهدات السلام بين المسلمين والبيزنطيين في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ٤١ ، ١٩٩٣ / ١٩٩٤ م ، ص ٧٦ .

Grousset . Histoire des L'Armenie , P. 302 – 303 .

وأهمية هذه الأحداث أنها تركت أثرها على أذربيجان ، فوجود مناطق القوقاز وأرمينية تحت سيطرة بيزنطة يجعل أذربيجان تحت التهديد المباشر لبيزنطة ويعرضها لقلاقل وفتن كثيرة .

وكان على معاوية بن أبي سفيان أن يواجه قوماً أولي بأس شديد ليس للسياسة معهم سبيل ولا يعرفون للترغيب ولا للترهيب طريقاً ، ففي عام ٤٧هـ / ٦٦٧م تقدمت جيوش الخزر الجرارة نحوه مدن أذربيجان ، واستولت في الطريق إليها على مدن وقلاع فخرج إليهم عبد الله بن سوار العبدى على رأس الحامية العسكرية وألتقي بهم في جبال أردبيل ؛ فتغلب عليه الخزر وقتلوا عدداً كبيراً من أفراد الحامية العسكرية ، وخر عبد الله صريعاً على أرض المعركة ، واستولي الخزر على مناطق الجبال المحيطة بأردبيل وعاثوا فيها فساداً (١).

ولم تذكر المصادر ما انتهت إليه هذه الحملة الخزرية ، ولكن ومن المرجح أن يكون الخزر قد عادوا أدراجهم بعدما استولوا على الغنائم والأسلاب الكثيرة ، ويؤيد ذلك أن المصادر لم تشر إلي تعرضهم لأذربيجان أو أي مدينة أخرى ، أو تصدى جيوش الخلافة لهم مرة ثانية ، كما أن الخزر يتبعون سياسة الكر والفر والهجمات السريعة الخاطفة ثم العودة السريعة بما يقدرون على حمله من غنائم وأسلاب .

وكانت هذه الهجمة بمثابة الحجر الذي حرك الماء الساكن في العلاقة بين الدولة الإسلامية والخزر ، فالخزر قد أخذتهم الجرأة في التعرض لحدود الدولة الإسلامية ، مستغلين في ذلك فترة الاضطرابات التي شهدتها الدولة الإسلامية وحالة الوهن التي خلفتها المحنة الكبرى ، ولا سيما وأن الدولة الإسلامية منذ أمد بعيد لم يتحرك لها جيش صوبهم ، وزاد

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٨

الوضع تعقيداً أن آخر جولة في الصراع مع الخزر كانت في صالحهم تلك التي كانت في موقعة البلنجر حيث هزم جيش المسلمين سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م ؛ وذلك ما أعطى الخزر الجرأة على القيام بهذه الهجمة .

وتعرضت الدولة الإسلامية لهزة عنيفة أخرى باندلاع الصراع على السلطة بين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠ ـ ٦٤ هـ / ٦٨٠ ـ ٦٨٣ م) وبين الحسين بن علي بن أبي طالب المطالب بالخلافة واتخذ من الكوفة عاصمة له ، وامتدت هذه الاضطرابات بين مروان بن الحكم (٦٤ ـ ٦٥ هـ / ٦٨٣ ـ ٦٨٥) ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ / ٦٨٥ ـ ٧٠٥م) وبين المنافس لهما عبد الله بن الزبير واستمرت هذه الاضطرابات ما يزيد على عشر سنين خرجت منها الدولة مقطعة الأوصال [١] .

هذه الأحداث أحدثت فراغاً سياسياً وعسكرياً في أذربيجان جعل منها فريسة سهلة لمن ينقض عليها ، حيث لم يكن هناك ما يمنع ذلك بعد انخراط حاميتها في الاضطرابات ، فكانت أيدي المختار بن عبيد الثقفي [٢] أسرع في الوصول إليها ، حيث سيطر على أجزاء واسعة من أرمينية وضم إليه أذربيجان سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦م ، واستناب عليهما إبراهيم بن الأشتر [٣] الذي دخل لاحقاً في طاعة عبد الله بن الزبير بعد مقتل المختار بن عبيد على يد مصعب بن الزبير في سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م ، ومن ثم قام عبد الله بن

---

(١) عن تفاصيل هذه الأحداث انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص ١٤٢ ـ ١٦٣ ، ٢٢٥ ـ ٢٧٥

(٢) كان للمختار بن عبيد الثقفي مواقف متناقضة في بغض علي بن أبي طالب ومولاه أولاده والتشيع لهم ، وادعى النبوة ونزول الوحي عليه ، وللمزيد انظر الدينوري ، المعارف ، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، ط القاهرة ، (د ت) ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ رسول جعفريان ، تاريخ سياسي إسلامي ، جلد سوم ، تهران ، ١٣٦٩ ، ص ٢١١ ـ ٢١٤

A.A. Dixon : A malcontent from the umayyad period, islaic culture, Vol. XIv II, No.1 , January, 1973, P. 32 - 33

(٣) إبراهيم بن الأشتر أحد قادة الخوارج المشهورين بالشجاعة والإقدام ، وهو قاتل عبيد الله بن زياد ، وأبوه ممن شارك في قتل عثمان بن عفان وللمزيد انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص ٣٠٨

Dixon . Op.cit, P. 32 - 33 .

الزبير بتعيين المهلب بن أبي صفرة نائباً عنه في أذربيجان سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م ، وظل المهلب بن أبي صفرة يصارع الأزارقة (١) ويقاتلهم حتى أنهتكه الحرب معهم ، وظلت الحرب سجالاً بينهما إلي أن اضطرته الظروف إلي التوجه إلي العراق لمواجهة عبد الملك بن مروان(٢) .

وبالرغم من أن الظروف السياسية والعسكرية قد اضطرت الخوارج الأزارقة إلي التحول من أذربيجان إلي فارس وأصبهان ، إلا أنهم عادوا إليها مرة ثانية ولكن هذه المرة الخوارج الصفرية (٣) وكان ذلك سنة ٧٦هـ / ٦٩٥م ، حيث نجح شبيب بن يزيد (٤) في دخولها ، وتمكن من رد جيوش الخلافة التي حاولت إخراجه حيث رد جيشاً للحجاج بن يوسف الثقفي ، ونجح في دحر جيش لوالي أذربيجان – في عهد عبد الملك بن مروان – محمد بن مروان (٥) وبدأت دائرة التأييد للخوارج تتسع شيئاً فشيئاً في مناطق الموصل والجزيرة وأذربيجان ، وبدأ الكثير من أهل أذربيجان يسعون حثيثاً لمساعدة هذه الحركات وظلت أذربيجان خارج نطاق سيطرة الدولة الأموية إلي وفاة شبيب بن يزيد غرقاً في النهر سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م واحتضار حركته ونهايتها (٦) .

---

(١) الأزارقة : أحد فرق الخوارج التي تنسب إلي نافع بن الأزرق في البصرة والأهواز ، عن أفكارهم وأعمالهم انظر : البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ، الرازي ، كتاب الزينة من الكلمات العربية والإسلامية ، القسم الثالث ، تحقيق عبد الله سلوم ، (د.ب.ن) ص ٢٨٤ ؛ محمد إبراهيم ، وادي هفت واد ، جلد نخست ، ط تهران ، (د.ت) ، ص ٢٩٨ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٥٠٢ .

(٣) الصفرية: أحد فرق الخوارج ، وسموا بذلك نسبة إلي رئوسهم ابن الأصفر أول رئيس لهم أو لاصفرار وجوههم من كثرة العبادة عن تفاصيل ذلك انظر : البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٤) شبيب بن يزيد: اشتهر بالشجاعة ، فعلى الرغم من قلة عدد أتباعه إلا أنه أتعب الأمويين في قتاله، عن ذلك انظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤١ – ٤١١ ؛ محمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩ .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٥٩ – ٥٦٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٧٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٥٥٩ – ٥٦٠ .

وبالرغم من اجتثاث الخوارج من أرض أذربيجان إلا أنها أصبحت نهباً وطمعاً للقوى الخارجية فبعد أن خلع الأرمن طاعة الدولة الأموية وظنوا في أنفسهم القوة والبأس اللذين يمكنوهم من مناصبتها العداء ، وهذا ما جعل محمد بن مروان والي أذربيجان يدخل معهم في أكثر من معركة في الفترة ما بين ٨٢هـ / ٧٠١م وعام ٨٤هـ / ٧٠٣م ، وبدأ الأرمن محاولة الوصول إلي أذربيجان والاستيلاء عليها مستغلين انشغال محمد بن مروان ووجوده في دمشق ، فتصدت لهم حامية المدينة العسكرية ، التي لم تكن مستعدة لمواجهة الأرمن فحاقت بهم الهزيمة وقتل عدد كبير من أفرادها ما بين قتيل على أرض المعركة أو غريق في نهر الرس (١).

ولم تدم نشوة الانتصار الذي حققه الأرمن على حامية أذربيجان ، وبينما شقت جموع الأرمن طريقها نحو أذربيجان ، كان محمد بن مروان قد أسرع بتجهيز جيش من منطقة الجزيرة الفراتية وتحرك به نحو أذربيجان حيث ألتقي بجموع الأرمن بقيادة زعيمهم سمباط البجراطي ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس انجلت عن هزيمة مروعة للأرمن ، وفرار زعيمهم سمباط إلي بيزنطة (٢).

وعلى ما يبدو أن الأرمن قد أخطأوا الحسابات حينما ظنوا أن أحداث الخوارج سوف تشغل الدولة الأموية عن أذربيجان ، وما كان للأرمن أن يحققوا هذا الانتصار المفاجئ على حامية المدينة لولا مساعدة بيزنطة التي قدمت لهم المعونة العسكرية التي مكنتهم من ذلك بدليل أن سمباط البجراطي زعيم الأرمن قدم جياداً عربية مما غنمه من الحامية العسكرية هدية للبيزنطيين (٣) كنوع من رد الجميل واعترافاً بفضلهم ودورهم في تحقيق هذا الانتصار.

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ، ص ٤٧٦ ؛ صابر محمد دياب ، أرمينية من الفتح الإسلامي إلي مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٤٦ – ٤٧ ؛ فايز نجيب إسكندر ، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج ، ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ٤٣ .

(٣) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ صابر محمد دياب ، المرجع السابق ، ص ٤٦ – ٤٧ .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ / ٧٠٥ – ٧١٥م) انصرف الاهتمام قليلاً عن أذربيجان حيث جعل الوليد هدف عملياته العسكرية الاستيلاء على المعاقل الهامة على الطريق الرئيسي المؤدي إلي القسطنطينية واستهدفت الحملات التي أرسلها الوليد كل عام ابتداءاً من ٨٦هـ / ٧٠٥م حتى العام ٩٦هـ / ٧١٥م منطقة الثغور (١) وآسيا الصغرى (٢).

وبالرغم من نجاح هذه الحملات في الوصول إلي البسفور والاستيلاء على بعض المعاقل الهامة بالقرب منه ، ولكن لم يكن هذا إلا لغرض الاستطلاع العسكري وتأمين الوجود الإسلامي في آسيا الوسطى وأرمينية (٣).

وبالرغم من نجاح هذه الحملات إلا أنها شغلت الدولة الأموية عن تأمين أذربيجان جاء ذلك في الوقت الذي كانت تتم فيه هذه الأحداث على مرأى ومسمع من الخزر الذين استغلوا هذا الانشغال وحالة الفراغ العسكري الموجود في منطقة أذربيجان وبدأوا يطرقون أبواب أذربيجان بقوة ففي عام ٨٩هـ / ٧٠٧م تقدم الخزر نحو أذربيجان وهاجموا عدداً من المدن في الطريق إليها وعاثوا فساداً في الأرض وحاصروا مدينة باب الأبواب وضيقوا الخناق عليها ، ولم تستطع حامية أذربيجان التي تركها مسلمة بن عبد الملك – والي أذربيجان في عهد الوليد – صد هذه الجموع ، فاقتضت هذه الأحداث عودة مسلمة من جبهة بيزنطة

---

(١) عن مناطق الثغور والحدود الإسلامية البيزنطية انظر : إبن الشحنة ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ط بيروت، ١٩٠٩، ص١٩١؛ فتحي عثمان،الحدود الإسلامية البيزنطية ، جـ١ ، ط القاهرة ، (د.ت) ، ص ٣٣٣ .

(٢) عن تفاصيل وأحداث هذه الحملات انظر: خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٨٣ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٦٧٣ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، جـ٤ ، ص ٣، ١١ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٣ .

(٣) لعبت أرمينية دوراً مهماً بالنسبة للدولة الإسلامية في صراعها مع بيزنطة بحكم موقعها الحاجز بينهما وهذا الموقع الجغرافي جعلها مقسمة الولاء ومنهارة سياسيا ، فتوالي الفريق الأقوى والمنتصر وتقدم له يد العون ، وهذا الموقف السياسي كان مع الدولة الفارسية قبل ظهور الإسلام . عن تفاصيل طبيعة وأهمية موقع وموقف أرمينية أنظر : وسام عبد العزيز فرج / جوزيف نسيم ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ط الإسكندرية ، (د.ت) ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

ولكن لم يجد للخزر أثر إذ أنهم سرعان ما عادوا إلي بلادهم محملين بما قدروا على حمله من الغنائم والأسرى (١).

ويظهر لنا مدي انشغال القيادة السياسية في الدولة الأموية بالحرب مع بيزنطة على ما سواه إذ سرعان ما ترك مسلمة أذربيجان متوجهاً إلي مناطق الثغور لقيادة الحملة على الحدود البيزنطية.

وما كاد مسلمة يصل إلي منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية، حتى بدأ الخزر يستغلون حالة الفراغ التي خلفها مسلمة في أذربيجان، حيث جمعوا جموعهم الجرارة وقصدوا أذربيجان واستولوا في الطريق إليها على مدينة باب الأبواب وعاثوا فيها فساداً وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها ثم كانت أردبيل هي التالية ولم تستطع الحاميات العسكرية من فعل شيء إذ أن مسلمة كان قد استصحب في رحلة العودة إلي الثغور خيرة الفرسان والمقاتلين. ووجد الخزر الفرصة السانحة للاستيلاء على عدد كبير من مدن أذربيجان وبالرغم من تعجل مسلمة في نجدة سكان أذربيجان إلا أن البون كان شاسعاً والمسافة كانت بعيدة. فلما وصل أذربيجان وجد الخزر قد عادوا من حيث أتوا، فتوغل في أراضيهم ومناطقهم الحدودية وأقام بها مواقع عسكرية وأسكنها الحاميات والجند لتكون مواقع عسكرية متقدمة وللقيام بمهام الاستطلاع العسكري لأنشطة الخزر الحربية وإجهاض محاولاتهم مبكراً، ثم شرع في إعادة بناء مدن أذربيجان بعد أن دمرها الخزر وأقام بها التحصينات والاستحكامات الحربية وأسكنها عدداً كبيراً من المسلمين (٢).

---

(١) الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص ٦٨٠؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر، جـ٣، ص ٨٩؛ مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، جـ٣، ط ليدن، (د ت)، ص ٣ وللمزيد انظر
Sir John GluBB : The Empire of the Arab, P. 122.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، جـ٣، ص ٣٢٣؛ الشهابي، تاريخ الغرر الحسان، ص ٧٦
Sir John GluBB : The Empire of the Arab, P. 122.

وكان النجاح الذي حققته الحملات في مناطق الثغور في عهد الوليد باعثاً على التفكير الجدي والمباشر في محاولة الوصول إلي القسطنطينية بيت القصيد ، وهو المشروع الذي أعيد إحياؤه في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩هـ / ٧١٥ – ٧١٧م) ومن العوامل التي ساعدت على التفكير في هذا المشروع أن سليمان أراد أن يستغل فترة الاضطرابات والفوضى التي كانت تعيشها بيزنطة في الداخل والخارج وتعيش فترة من أحلك فترات تاريخها ، فجعل سليمان من هذا المشروع موضوع الساعة وغلب على ما سواه (١).

وقد استنفذ هذا المشروع كل طاقات واهتمامات الدولة الأموية ، فلم يجد الخزر صعوبة في مهاجمة أذربيجان وأن يعيثوا فيها فساداً سنة ٩٩هـ / ٧١٧ م ، ولم يقفوا عند أردبيل بل هاجموا عدداً كبيراً من مدن أذربيجان وأهلكوا الحرث والنسل ، ثم كانت عودتهم إلي بلادهم بعد أن حملوا في طريق عودتهم الغنائم والأسلاب (٢).

---

(١) وسام عبد العزيز ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ١١٧
V.A Renouf : Outlin of General History, P. 191 .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣١٩ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٠٢ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٦١ .

دور أذربيجان في مواجهة هجمات الخزر على الدولة الأموية :

في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ / ٧١٧ - ٧٢٠م) شهدت الجبهة مع الخزر فترة من السكون الحربي والسياسي ، حيث كان لعمر فلسفته الخاصة ، وكانت له أغراضه الطيبة ، وفي الحقيقة لم تكن أعماله في هذا الصدد بعيدة عن الحكمة ، وحين أعقبه يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤م) غير السياسة الخارجية المتجمدة بعض الشيء وبعث حرارة الجهاد من جديد ولكن دون نتائج إيجابية تتناسب مع حجم الجهاد والجهود المبذولة لتحقيقه ، فقد اصطدم يزيد بواقع حربي وتكتيكات عسكرية جديدة ، فقد دفع التهديد الإسلامي منذ القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري بكل من الخزر وبيزنطة إلي التحالف [1] في وجه الدولة الأموية ، وظل هذا التحالف ركناً أساسياً في علاقاتهما طوال القرنين التاليين ، إذ ظل الخزر الحليف الدائم لبيزنطة في الشمال الشرقي ، وتلقت بيزنطة معونة طيبة من خلال صداقتها التقليدية مع الخزر الذين أحسوا بأنفسهم متحدين مع البيزنطيين في عداء مشترك للدولة الإسلامية ، حيث استغلت بيزنطة العداء المستحكم بين الدولة الأموية والخزر أحسن استغلال وسخرت الحرب والسياسة لتحقيق أهدافها ، فتم تقوية التحالف بين الخزر وبيزنطة بالمصاهرة ، حيث تزوج ابن

---

(١) تمركزت دولة الخزر في إقليم يقع بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا شمال جبال القوقاز وبحر أزوف ، ومنذ القرون الوسطى المبكرة بدأت هذه الدولة تهدد بيزنطة منذ القرن السادس الميلادي ، وحدث بينهما أكثر من صدام مسلح ، ومع مطلع القرن السابع الميلادي أدت الظروف التي أحاطت بهما إلي حدوث تقارب وتفاهم بينهما ، ولقد أدرك البيزنطيون الأهمية والقيمة الكبرى لشمال القوقاز ، ففي أثناء الصراع الفارسي البيزنطي تحالفت بيزنطة مع الخزر في وجه الفرس ، وبعد ذلك حدث بعض التوتر في العلاقات بين كلا الفريقين لا سيما في عهد جستنيان الثاني ، ولكن مع تصاعد وتنامي الوجود الإسلامي على حساب الدولتين فقد فرضت عليهما الظروف السياسية والعسكرية التحالف في وجه المد الإسلامي ، واتخذ هذا التحالف عدداً من الصور ما بين السياسية والعسكرية والاجتماعية . وللمزيد انظر : وسام عبد العزيز ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، دنلوب ، تاريخ يهود الخزر ، تعريب د/ سهيل زكار ، ط٢ دمشق ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٩ - ٢٣ ؛ بهمن آقايي ، درياي خزر در قرن بيست ديكم ، مجلة ايران شناسي ، سال پانزدهم ، شماره ٣ ، پاپستان ١٣٨٢ / ٢٠٠٣ ، ص ٤١٨ - ٤٢٣ .

الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الأيسوري وخليفته قسطنطين الخامس من ابنه خاقان الخزر سنة ١١٥هـ / ٧٣٣ (١).

وبذلك أصبحت جبهة الخزر وشمال القوقاز ميداناً يمتص طاقة الأمويين ، وأصبح الخزر قوة تجذب كل انطلاقة للدولة الأموية ويتضح ذلك جلياً من خلال العلاقة مع الخزر خلال فترة حكم كل من يزيد بن عبد الملك وخلفه هشام بن عبد الملك .

موقعة مرج الحجارة ١٠٣هـ / ٧٢٠م :-

وقع أول صدام مسلح بين الدولة الأموية والخزر في عهد يزيد بن عبد الملك في نهاية العام ١٠٣هـ / ٧٢٠م ، حيث تلقي الخزر المعونة العسكرية من بيزنطة وسكان مناطق القوقاز وقوي ساعدهم وشرعوا في مهاجمة حدود الدولة الأموية وقصدوا أذربيجان ، فعين يزيد بن عبد الملك القائد ثبيت النهراني لقتالهم ، فتقدم ثبيت بجيشه والتقي بالخزر في موقعة مرج الحجارة شمال غرب أردبيل ، وبعد قتال عنيف بين الجيشان ، انتصر الخزر وقتلوا عدداً كبيراً من جنود المسلمين وفرت فئة قليلة نحو دمشق . (٢)

وبعد هذه الهزيمة التي حاقت بجيش الخلافة الأموية لم يعد هناك شيء يحول بين أذربيجان واستيلاء الخزر عليها ، فعاثوا فيها فساداً وقتلوا أعداداً كبيرة من سكانها وظلت ترزح تحت نيرهم إلي أن قام يزيد بتعيين الجراح بن عبد الله الحكمى (٣) وأمده

---

(١) وللمزيد انظر . العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ١٦٧ ؛ وسام عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ؛ ارثر كيستلر ، القبيلة الثالثة عشرة ، ص ١٣ ، ٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٤ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٩٨ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ص ١٧٠ .

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمى . أشهر قادة الحرب في عصر الدولة الأموية ، كان يلقب بأبي عقبة ، ووصف بالشجاعة والبطولة، ولي لعمر بن عبد العزيز خراسان،انظر:ابن دريد،الاشتقاق،جـ١،ط ليدن،١٨٥٤،ص٧؛راضي عبد الله، دراسات في تاريخ خراسان في العصر الأموي (٤٠ – ١٣٢هـ) ، ط القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ٥٠ – ٥١ .

بجيش من خيرة عناصر الجند في الدولة الأموية وطلب منه إزاحة الخزر عن حدود الدولة الأموية (١).

فتقدم الجراح بجيشه وأخذ يقوي جبهته الداخلية بإعادة السيطرة على المناطق المجاورة لأذربيجان وتعلهير المدن والحصون التي إحتلها الخزر وفرض الطاعة على ملوك الجبال ثم شرع في مهاجمة فلول الخزر الذين بدأوا ينسحبون من أذربيجان ومن وجه القوات الإسلامية ، وأخذ الجراح يتعقب فلول الخزر الهاربة ، إلي أن أزاحهم عن حدود الدولة الأموية ، وحتى تلك اللحظة لم يكن قد دخل معهم في معركة فاصلة ، ولذا فقد تابع تقدمه وتوغل في حدود الخزر إلي أن وصل إلي أحد معاقلهم الرئيسية مدينة البلنجر فضرب عليها الحصار ،وطال أمد هذا الحصار إلي أن نجح أحد الجنود من اختراق هذه التحصينات ، وتدفق المسلمون إلي داخل المدينة واستولوا على ما كان بها بعد قتال عنيف مع الخزر (٢).

وشرع الجراح بعد العدة لمزيد من التوغل والاستيلاء على المدن الخزرية ، وبدأ التقدم ولكن جاءت وفاة يزيد بن عبد الملك لتعطل هذا المشروع ، مما اضطر الجراح الحكمي إلي العودة إلي أذربيجان وانتظار ورود تعليمات أخرى (٣).

وبتولي هشام بن عبد الملك الحكم (١٠٥ – ١٢٥هـ / ٧٢٤ – ٧٤٣م) كان عليه التصدي لخطر الخزر ذلك العدو الرابض على حدود الدولة الأموية ، ويعد هشام بحق من وجهة نظر المؤرخين ثالث بني أمية في السياسة وأخرهم بعد معاوية الذي أسس دولة بعد الفتنة الكبرى ، وعبد الملك بن مروان الذي قاد الدولة الأموية في أخطر مراحلها من أجل

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٣ ، الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٠٥ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٣١ ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٠٩ ، الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٢٦٠ – ٢٦٤ .

(٣) الكوفي ، نفس المصدر ، جـ٨ ، ، ص ٢٦٠ – ٢٦٥ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣، ص ١٠٥، دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٧١ .

الاستمرار. أما هشام فقد قاوم النهاية المحتومة طويلاً وحاول كثيراً ، وجاهد في الداخل والخارج من أجل البقاء ، فكان عهده أشبه بصحوة ما قبل الموت البطيء ، الذي جاء على يد الخلفاء الأربعة الذين تلوه في الحكم ، وبالرغم من أنه لم يكن جندياً إلا أنه أظهر سياسة وحكمة وشجاعة كبيرة في خوض غمار الحرب والتدبير لها ، ما يثبت أنه رجل حرب وإدارة لا يستكين (١).

ظهر أثر هذه الصفات التي تحلى بها هشام في اهتمامه بأمر أذربيجان إذا استهل عهده بتسمية الجراح والياً على أذربيجان وأمده بالرجال والعتاد والإمدادات التي طلبها فاستطاع الجراح من منازلة الخزر سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤ ، وأوقع بهم الهزيمة وألزمهم التراجع خلف حدودهم (٢).

وبعد هزيمته للخزر عرج الجراح بجيشه نحو مناطق القوقاز لمنازلة ملك قلعة اللان لتكرار تعاونه مع الخزر ضد الدولة الأموية ومشاركته في الهجوم على أذربيجان ، وتمكن الجراح من دخول القلعة عنوة وعقد اتفاقاً مع حاكم القلعة يلتزم فيه الحاكم بدفع قدر معين من المال سنوياً مقابل تركه على حكم القلعة وعدم التعرض لها ، ثم عاد أدراجه إلي أذربيجان (٣).

ويعود مسلمة بن عبد الملك مرة ثانية إلي أذربيجان والياً عليها سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م، بعد أن عزل هشام الجراح عنها ، غير أن مسلمة لم يبارح دمشق واستناب على أذربيجان الحارث بن عمرو الطائي حيث قاد جيش الخلافة في الحملة على الخزر

---

(١) انظر : وسام عبد العزيز فرج ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ١١٣ ـ ١١٤

(٢) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ١٣٤ ؛ أديب السيد ، أرمينية في التاريخ العربي ، ط١ ، (د م) ، ١٩٧٢ م ، ص٩٢ .
Muire : The Caliphat , P. 397 .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٣٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٢٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٣٤ . Muire : The caliphat , P. 397 .

سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥م فأشتبك معهم في أكثر من موقع وتوغل في حدودهم ثم عاد بجيشه الظافر إلي أذربيجان (١).

وعلى ما يبدو أن حملة الحارث بن عمرو على الخزر لم تكن ذات أثر، إذ أنه ما كاد يصل إلي أردبيل إلا وكان الخزر في عقبه سنة ١٠٨هـ / ٧٢٦ م ، فاستولوا على المدن التي في طريقهم، فبدءوا بمدينة ورثان (٢) وعاثوا فيها فساداً وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها وهدموا سورها بالمجانيق ، فتقدم الحارث من عمرو بجيشه واستطاع أن يخرجهم من المدينة بعد مشقة وجهد جهيد (٣) ودخل مع الخزر في أكثر من موقعة ودارت الحرب سجالاً بينهما دون تحقيق نتيجة حاسمة لأي من الفريقين ، وفي أحد هذه المعارك خر الحارث بن عمرو صريعاً. (٤)

هذه الأحداث اضطرت مسلمة إلي العودة لأذربيجان ومباشرة القيادة بنفسه سنة ١٠٩هـ /٧٢٧م ودخل مع الخزر في قتال محتدم ، وظلت الحرب قائمة بين الطرفين حتى حل الشتاء مما اضطرهما إلي الانصراف لحين انتهاء الشتاء ، فتوجه مسلمة بالجيش لقضاء الشتاء في قلعة اللان (٥).

---

(١) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٣٧ ؛ ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، ط القاهرة ، ١٣١٧هـ ، ص ١١٩ . Muire : Op.cit, P. 397 .

(٢) انظر الخريطة الملحقة بالبحث .

(٣) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ، ٣٠ ، ص ٢٢٢

(٤) الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٢٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٤٥ .

(٥) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٤٠ – ١٤١ ، بحلاز ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٧٥ .

معركة الطين [1] ١١٠ هـ / ٧٢٨م :

واستمرت حالة الكر والفر في الحرب بين الخزر والدولة الأموية ، حيث جمع الخزر جيشاً كبيراً من مختلف أنحاء بلادهم ، وبدأوا اجتياح مناطق القوقاز ، واستولوا على عدد من الحصون والقلاع التي تتحكم في الطريق والممر الرئيسي نحو مدن أذربيجان ، فاضطر مسلمة ابن عبد الملك إلي حث الناس على الانخراط في جيشه لمعادلة جيش الخزر ، وبالرغم من نجاح مسلمة في صد هجمة الخزر هذه واستعادة الحصون والقلاع التي استولوا عليها غير أنه سرعان ما عاد إلي مدينة باب الأبواب لقضاء الشتاء بها [2]

وقبل أن ينقضي الشتاء عاد الخزر مرة ثانية من حيث أتوا قاصدين هذه المرة أردبيل رأسا ؛ مستغلين تواجد مسلمة بالجيش في مدينة باب الأبواب ، فاضطر مسلمة إلي الخروج لملاقاتهم ، وقد دارت المعركة في جو ماطر قارص البرودة ، واستمرت لفترة طويلة سجالاً بين الفريقين إلي أن لاحت بشائر الانتصار للمسلمين ، وحاول الخزر الفرار من ساحة المعركة أمام هجمات الفرسان العرب الصاعقة ، واندفعوا نحو نهر الرس يريدون العبور ، ولكن مياهه السريعة الجريان تخطفتهم جماعات جماعات ، حتى لقد قيل أن عدد الذين غرقوا في النهر كان أضعاف الذين قتلوا بسيوف المسلمين ، ولم يستغل مسلمة هذا الانتصار وحالة التشرذم والاندحار التي وقع فيها الخزر ولم يتابع فلولهم ، وآثر السلامة مكتفياً بما حقق من نصر وسلك طريق العودة نحو أردبيل [3].

---

(١) معركة الطين : سميت بذلك لوقوعها في جو ماطر وأرض لبخة ومليئة بالطين ، وعلق الكثير منه على أرجل الخيل ، مما دفع المسلمون إلي قص أذناب الخيل حتى لا تعوقها في الحركة ، انظر خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٩ ؛ ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٧ ــ ٣١٨ ؛ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٢٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٥٥

(٣) للطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٢٩ ؛ ابن أعثم الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٢٨٢ ــ ٢٩٦

ومع حلول العام ١١١هـ / ٧٢٩م ، أعاد الخزر الكرة وهاجموا أذربيجان . حيث استولوا على مدن كثيرة من أذربيجان موقعين الخوف والرعب في نفوس سكانها ، وأهلكوا الحرث والنسل وأتوا على الأخضر واليابس ، وشرعوا في مهاجمة أردبيل ، فتصدي لهم مسلمة بجيشه ونجح في تفريق جموعهم ، غير أنه كرر خطأه السابق حيث لم يتابع فلولهم ولم يقم بتصفية بعض الجيوب التي خلفوها وراءهم (١).

موقعة مرج أردبيل ١١٢ هـ / ٧٣٠م :-

استمرت الحرب بين الخزر والدولة الأموية بصفة شبه سنوية ولم تكد تتوقف منذ عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٤م) وبالرغم من عدم توقف حملات المسلمين على بلادهم ووقوع عدد من المعارك بين الجانبين خرج المسلمون في معظمها منتصرين ، إلا أن ذلك لم يمنع تكرار هجماتهم على أذربيجان ، كما أن هجمات المسلمين على الخزر لم تكن حاسمة ولم تنجح في كسر شوكتهم ، فلم يكد قادة المسلمين يردون لهم جيشاً حتى يفاجئوا بجيش أخر أكثر عدداً وأحسن عدة ، حتى أنهكوا جيش الخلافة في قتالهم ، وهذا ما دفع هشام بن عبد الملك إلي تغيير ولاية أذربيجان فعزل مسلمة بن عبد الملك وأعاد إليها الجراح الحكمي بحثا عن نتيجة حاسمة ونصر مبين على الخزر ، وهذا يدل على أن ولاية أذربيجان وحكمها قد يكون مرهون بتحقيق نتائج إيجابية على الجبهة مع الخزر ، وعلى الجانب الآخر فقد أعد الخزر جيشاً جراراً أضعاف ما تعارف عليه المسلمون ، وعقدوا عدداً من التحالفات مع ملوك جبال القوقاز للاشتراك في الهجوم

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٣٧ .

على أذربيجان [١] وبدأت هذه الجموع في التحرك نحو أردبيل فعبروا نهر الرس ، [٢] وبدأ الجراح في الاستعداد للاقاتهم وأعاد تنظيم جيشه وضم إليه عدداً من المتطوعين لمواجهة سيل الخزر الجارف ، وخرج بالجيش للاقاتهم والتقي بهم عند مرج أردبيل [٣] شمال أردبيل ودار قتال عنيف بين الجيشين وكانت ملحمة عظيمة انتصر فيها الخزر وقتلوا من المسلمين عدداً كبيراً من بينهم القائد الجراح بن عبد الله الحكمي [٤] .

وبعد هزيمة جيش الخلافة في مرج أردبيل ومقتل عامة الجيش وفرار قلة قليلة منه أصبح طريق الخزر نحو أردبيل مفتوحاً ولا يوجد ما يعوقهم ، فلما وصلوها فرضوا عليها الحصار وضربوها بالمجانيق ، واستماتت الحامية العسكرية في الدفاع عن المدينة ، ولكن دون جدوى فلا أمل في نجدتهم ، ولما ضيق الخزر عليها الخناق سلمت لهم فقتلوا عناصر الحامية العسكرية ، ونكلوا بسكانها وكان المصاب جللاً على من بها من السكان [٥] .

ولم يقف الخزر عند الاستيلاء على أردبيل حيث تقدمت جموعهم ، وعاثوا فساداً في منطقة الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، ووصلوا الموصل جنوباً [٦].

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٣٩ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٥٩ – ١٦٢ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤١ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٣٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٢٦ ؛ كيستلر ، القبيلة الثالثة عشرة ، ص ٣٥

Muire : The Caliphat, P. 397 .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٣٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٥٩ ؛ مهدي آقاسي ، تاريخ خوي ، ط تبريز ، ١٣٥٠هـ ش ، ص ١٣ – ١٤ .

Sir John Glubb : The Empire of the Arab, P. 182 - 183 .

(٤) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٣٩ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ١٤٤ ؛ كيستلر ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

Simon Franklin and Jonathan shepard, the Emergence of Rus 750 – 1200 , London, P. 10 – 11 .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٢ ؛ الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٢٦٧ – ٢٦٩

(٦) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٣٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٥٩ – ١٦٢ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٧٢

وأخذت تنعقد في الأفق سحب داكنة أخذت تزحف ببطيء نحو دمشق مهددة ومعرضة الخلافة الأموية ذاتها إلي خطر الهلاك ، فوقع اختيار هشام بن عبد الملك على سعيد الحرشي لولاية أذربيجان وحرب الخزر (١).

ولم يكن اختيار سعيد الحرشي من باب المصادفة ، إذ أنه وبالإضافة إلي كفاءته العسكرية كانت له خبرة وسابق معرفة بقتال الترك في خراسان وله معهم صولات وجولات ؛ فبذل جهوداً كبيرة في إعادة إحياء هذه الجبهة ، فكان في سيره نحو أذربيجان يستنهض همم الناس ويحثهم على الجهاد ومقاتلة الخزر ، وأخذ يجمع شعث وشتات جيش الجراح ثم شرع في تعقب جيش الخزر ويسترد ما استولوا عليه المدينة تلو الأخرى ، حيث بدأ بمدينة خلاط فضرب عليها الحصار إلي أن استرجعها من أيديهم (٢).

وانتقل منها إلي مدينة برذعة التي فر منها الخزر ، فخرج إليه أهلها مستبشرين وانخرط عدد كبير منهم في جيشه ، ثم توجه إلي مدينة ورثان ، حيث كان الخزر قد فشلوا في حصارها فتركوها وولوا هاربين فدخلها الجراح بجيشه (٣).

واتجه الحرشي بعد ذلك بجيشه نحو مدينة أردبيل حيث نجح في استعادة السيطرة عليها ، وبدأ في الاستعداد للدخول مع الخزر في معركة فاصلة ، فبدأ يتحرك بالجيش صوب جموعهم حيث عسكروا على مقربة من مدينة ورثان ، فوصل قريباً منهم ليلاً ، ومع أول خيط للفجر انقض على معسكر الخزر وأعمل فيهم القتل بعد أن عم الهرج والمرج صفوفهم ففر عدد كبير منهم إلي مدينة يرزند (٤) وتحصنوا بها ، فتقدم الحرشي نحوهم واشتبك

---

(١) ابن أعثم الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٢٧٠ ــ ٢٧١

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٦٠ ــ ١٦٢ ، دحلان ، المرجع السابق ، ص ١٧٢

(٣) الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٢٧٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٥٩ ــ ١٧٢ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ١١٢ .

(٤) يرزند - مدينة آهلة بالسكان بالقرب من أردبيل تعد ثالث مدن أذربيجان من حيث الأهمية بعد أردبيل وتبريز . انظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٧٨ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ .

معهم في معركة فاصلة واستمات الخزر في الدفاع عن مراكزهم الأمامية وأجبروا المسلمين على التراجع والتقهقر للخلف ، وبدأت تلوح في الأفق نذر الهزيمة ، ولم ينقذهم في هذه المعركة من هزيمة قاسية سوي سماعهم أصوات استغاثة الأسرى المسلمين الذين وقعوا في قبضة الخزروهم ينادون عليهم ويناشدونهم بالله ورسوله أن يفكوا أسرهم ، فحض المسلمون بعضهم بعضاً وتقدموا واضطروا الخزر إلي الفرار من ساح المعركة فسقط الكثير منهم غرقي في نهر الرس ، وحمل المسلمون أسراهم وغنائمهم وأسلابهم وعادوا بها إلي مدينة باجروان لالتقاط الأنفاس وترتيب الأوراق (١).

وعلى ما يبدو أن هذه الهزيمة قد آلمت الخزر كثيراً فأعادوا تنظيم جيش آخر أكثر عدداً وأفضل عتاداً بقيادة نارستك نجل خاقان الخزر ، وتوجه هذا الجيش وعسكر على مقربة من مدينة البيلقان فاستخلف الحرشي على أذربيجان وترك لها حامية عسكرية لحمايتها ، وانتقل بالجيش حيث التقي بالخزر عند نهر البيلقان (٢) وبعد أول يوم من القتال مال كل فريق إلي فئته بعد أن جن عليهم الليل ، وقبيل الفجر باغت الحرشي بجيشه الخزر وأخذوهم على حين غرة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة وتكفل نهر البيلقان بالبقية الباقية ، حيث غرق فيه الكثير بعد أن جرفتهم سرعة تياره ، وأرسل الحرشي إلي هشام بن عبد الملك يخبره بما كان بينه وبين الخزر من أحداث ومعارك ، وبما فتح الله على يديه (٣).

---

(١) الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٢٨٠ – ٢٨٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٥٩ – ١٦٢ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ١١٢

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٧ ؛ الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٢٧٩ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٧٤ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٧ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٤٦ ؛ كيمتار ، القبيلة الثالثة عشرة ، ص ٣٥ .

ويعد هذا الانتصار الذي حققه الحرشي على الخزر وقع له ما لم يكن في الحسبان : إذ أن مسلمة بن عبد الملك – والي الجزيرة وأرمينية وأذربيجان – أهان سعيد الحرشي وأغلظ له القول وأمر بسجنه وحمله في الأغلال ، بعد عزله عن ولاية أذربيجان ، ولم ينقذ الحرشي من هذا الموقف الصعب سوي علم هشام بن عبد الملك بما حدث له وأمره لمسلمة بفك أسره وتكريمه ووبخ مسلمة على ما بدر منه تجاه الحرشي (١).

وعلى ما يبدو أن مسلمة بن عبد الملك قد أقدم على هذا العمل عقاباً لسعيد الحرشي الذي تخطاه على سلم ترتيب المناصب وقام بمخاطبة هشام بن عبد الملك الخليفة رأساً دون الرجوع إلي المنصب الأعلى منه مباشرة وهو مسلمة ودون أن يطلعه على تفاصيل الأحداث .

هذه الأحداث التي أعقبت انتصار الحرشي على الخزر كانت دافعاً لعودة مسلمة بن عبد الملك إلي أذربيجان ومباشرة مهام عمله منها بنفسه ، وأراد أن يستغل انتصار الحرشي على الخزر وحالة الوهن التي أصابتهم فقام بمطاردة فلولهم وتصفية ما تبقي لهم من جيوب مقاومة وتعقبهم من حصن إلي آخر إلي أن انتهي إلي مدينة باب الأبواب فقضي بها الشتاء ، وقام بإعادة بناء مدينة أردبيل وترميم حصونها وأسوارها لأنها خط الدفاع الأول ليس لأردبيل وحدها بل لكل أذربيجان (٢).

ومع مطلع صيف عام ١١٣ هـ / ٧١٣م ، واصل مسلمة نشاطه الحربي ، فخرج بجيش كبير استهل به القلاع والحصون الموجودة في جبال القوقاز فاستولي على عدد كبير

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٧ ؛ أديب السيد ، أرمينية في التاريخ العربي ، ص ٩٥

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٣ ؛ الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٦٢ .

منها ، ثم أردف بالاستيلاء على مملكة شروان [1] وعقد اتفاق صلح مع حاكمها ثم عرج نحو الخزر؛ فتوغل في عمق أراضيهم حتى وصل جبال مدينة بلنجر حاضرة الخزر ، ودخل معهم في معركة لم تكن متكافئة إذ بدا الخزر متأثرين بما وقع لهم من هزائم على يد الحرشي ومسلمة فدارت عليهم الدائرة وحاقت بهم الهزيمة ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام مسلمة إلي مدن الخزر الرئيسية بعد فرار جيش الخزر ، غير أن مسلمة تريث كثيراً حتى وصل به إلي درجة التباطؤ ، واغتر بنصره عليهم وظن أنه لن تقوم لهم قائمة ، فاستغل الخزر هذا الموقف وشكلوا جيشاً آخر وأخذوا زمام المبادرة وهاجموا جيش مسلمة الذي أثر التراجع وكان قصاراه السلامة ونادي في الجيش بالانسحاب وانحاز إلي أقرب فئة ، فتوجه بالجيش إلي مدينة باب الأبواب وتحصن بها [2].

ولاية مروان بن محمد أردبيل ١١٤ هـ / ٧٣٢م :-

كان مروان بن محمد أحد أفراد جيش مسلمة بن عبد الملك الذي خاض الحرب مع الخزر وملوك جبال القوقاز ورأي بأم عينيه ما حدث من إهانة لسعيد الحرشي وما ارتكبه مسلمة من أخطاء بعضها إدارية ومعظمها حربية ، وقد آلمته كثيراً هذه الأحداث فأغتنم فرصة توقف القتال ، وذهب سراً إلي دمشق واجتمع بالخليفة هشام بن عبد الملك وأعرب له عن استيائه الشديد من تصرفات مسلمة الإدارية والحربية ، وأوقف الخليفة هشام على طبيعة الموقف في الحرب مع الخزر ، وسرد له أخطاء وسقطات مسلمة وطلب منه أن يوليه إمرة أذربيجان وأن يمده بجيش كبير لمنازلة الخزر ، ويزيل عن الخلافة

---

(١) شروان : مدينة وقلعة في جبال القوقاز على الطريق الرئيسي المؤدي إلي مدينة باب الأبواب ، على بحر الخزر (قزوين) وتقع إلي الشمال الشرقي من مدينة أردبيل ، وسميت بذلك نسبة إلي أول من بناها وهو كسري أنوشروان ، انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ٣ ، ص ١٣٧ .

(٢) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣١٧ – ٣١٨ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٤٩ .

الأموية غبار الفرار المهين الذي اتبعه مسلمة في آخر جولات الحرب معهم ، فأجابه هشام إلي ما أراد (١).

وللحقيقة فإن مروان بن محمد كان يتمتع بعبقرية عسكرية ، وكان يجيد الخدع العسكرية ، حيث أعاد تشكيل الجيش من جديد ، وغير من تنظيماته ليواكب ويناسب طبيعة الحرب مع الخزر ، حيث اعتمد في تشكيل الجيش على نظام الكراديس (الوحدات الصغيرة) التي تعطي الجيش تماسكاً وسرعة في الحركة (٢).

وتعتبر ولاية مروان بن محمد لأذربيجان فتحاً كبيراً وبداية لمرحلة فارقة في تاريخها إذ أنه أعاد لها استقرارها وهيبة الدولة الأموية في الحرب مع الخزر ، حيث اتبع تكتيكات حربية ماكرة ؛ فبعد أن ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك أذربيجان وحرب الخزر طلب منه أن يمده بمائة وعشرين ألف مقاتل وأن لا يعلن وجهة هذا الجيش وأن يظل ذلك سراً حتى يحقق ما يريد ، فتحرك بالجيش وأظهر أنه يريد اجتياح مناطق القوقاز وأنه يريد أن يتفرغ لهذا العمل وأرسل إلي الخزر يطلب المهادنة وعقد اتفاق سلام معهم ، فأجابوه إلي ما أراد ، وأرسلوا إليه من يقرر بنود الصلح ، فلما جاءه الرسل ظل يماطلهم حتى استكمل استعداداته الحربية ، ولما أصبح على أهبة الاستعداد طردهم وآذنهم بالحرب وسيرهم إلي بلادهم عبر طريق فيه بعد ومشقة ، وسار هو بجيشه نحو الخزر من أقصر الطرق فما أن وصلت رسل الخزر إلي بلاط خاقانهم إلا ومروان في عقبهم يطرق أبوابهم وأخذهم على حين غرة ، فلم يجد الخزر سوي محاولة الفرار ، ومروان يتعقبهم بجيشه ، حتى وصل

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٧٧ ــ ١٧٩ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ١١٤ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٣ .

(٢) وسام عبد العزيز ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ؛ ظهوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨

إلي أقاصي بلادهم ، وفي طريق عودته أخذ يدمر مدنهم الرئيسية ، حتى لا تقم لهم قائمة سريعاً ثم بدأ رحلة العودة إلي أذربيجان (١).

وفي طريق عودته إلي أذربيجان عرج مروان بجيشه على جبال القوقاز ، وتنقل بين حصونها الرئيسية ، فاستهل حملته باقتحام مملكة السرير (٢) وأرغمهم على دفع فدية سنوية ، ثم توجه إلي قلعة حمزين (٣) ودخلها عنوة ، وفرض عليها فدية سنوية من مال وعبيد تدفع بصفة دورية ، ثم جاز الدرب نحو مملكة اللكز (٤) فحاول حاكمها الفرار واللجوء إلي الخزر فقتله أحد أتباعه ، وعين مروان عليها حاكماً جديداً ، ثم عاد إلي أذربيجان (٥).

وبالنظر إلي حماسة مروان ونيته التي أظهرها في قتال الخزر ، كان المأمول أن يواصل الحرب معهم حتى يقضي على خطرهم ، ولكنه بعد هذه الحملة المزدوجة على الخزر وملوك القوقاز توقف عن الحرب بصورة مفاجئة ، ومكث في أذربيجان ثلاث سنوات متوالية ، وعلى ما يبدو أن الحرب مع الخزر قد تأثرت بأحداث العالم الإسلامي آنذاك فوقوع الطاعون الذي ضرب الشام والعراق سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣م ، وربما القحط الشديد

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٧٧ – ١٧٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ ، دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٣ .

(٢) مملكة السرير : أحد القلاع الحصينة بالقرب من باب الأبواب إلي الشمال الشرقي من أردبيل ، وهي الآن ضمن حدود جمهورية الداغستان ، أحد جمهوريات الاتحاد الروسي . انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٩٧ ، الكردبزي ، زين الأخبار ، ص ٢٧٨ ، أمين واصف ، الفهرست ، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية ، ص ١٩ .

(٣) قلعة حمزين : أحد القلاع الحصينة الواقعة في سلسلة جبال القوقاز إلي الشمال من أذربيجان ، انظر ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٩٦

(٤) مملكة اللكز : مملكة واسعة ذات أقاليم ومدن وقرى في سفوح جبال القوقاز ، إلى الشمال الشرقي من أذربيجان انظر ، ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ٨٣ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧

(٥) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ١١٥ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ١٤٧ ، دحلان ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

الذي أصاب خراسان [١] وهذه الأقاليم تعتبر من الناحية العملية مستودع الإمدادات لجيوش الخلافة الأموية كما أنها هي الظهير الحربي لجبهة الخزر وبيزنطة ، ويمكن اعتبار المصاب الأليم الذي أصاب الدولة الأموية في موقعة بلاط الشهداء [٢] جنوب فرنسا وارتداد جيوش الخلافة عن جنوب أوروبا [٣] ويمكن اعتبار هذه العوامل سبباً في حدوث فترة السكون التي أعقبت أولي صولات مروان مع الخزر.

ويبـــدو أن الخزر وملوك جبال القوقاز قد أرادوا استغلال حالة الوهن والحزن التي عمت العالم الإسلامي وأخذوا يتعاونون فيما بينهم لشن حملة جديدة على أذربيجان يردون بها اعتبارهم بعد هزيمتهم السابقة ، غير أن مروان كان سباقاً في الهجوم ، فخرج إليهم بجيشه سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥م وشن عليهم حرباً وقائية واستولي على عدد من الحصون والقلاع التي أبدت تعاوناً مع الخزر واحكم قبضته على الطرق والممرات على الطريق الرئيسي إلي بلاد الخزر [٤].

ولما دهم الشتاء مروان قفل عائداً إلي أذربيجان ثم عاد مرة ثانية إلي جبال القوقاز سنة ١١٨هـ / ٧٣٦م ، واستولي على معظم القلاع والحصون القريبة من أذربيجان والتي قد تشكل خطراً عليها [٥].

---

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٩ ، ص ٣١٣ ؛ وسلم عبد العزيز فرج ، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ، ص ٢٩٩ .

(٢) بلاط الشهداء : في المصادر العربية أوتور بواتيه في المصادر الغربية ، موقعة شهيرة في تاريخ الإسلام والتاريخ العالمي،ووقعت سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م ، عن تفاصيلها انظر : محمد بن عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، جـ١ ، ط القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٠ ــ ١٠٩ ، وسلم عبد العزيز فرج ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ــ ٢٨

(٣) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١١٢ ، وسلم عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ــ ٢٧

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٥٧ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٨

(٥) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٤٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٩٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٥٠

ورأى مروان في محاولات ملوك جبال القوقاز التحالف مع الخزر خطراً يهدد حدود الدولة الأموية ووجودها في أذربيجان ، فشن عليهما حرباً عسكرياً موسعة ، بدأها بقلعة اللان سنة١١٩هـ / ٧٣٧م ، حيث ضرب عليها الحصار إلي أن سقطت في يديه ، فقام بتدمير تحصيناتها ، ثم عرج نحو مناطق الخزر ، فاستولي على أهم مدنها الرئيسية فدخل مدينة بلنجر بدون عناء ، ثم استولي على مدينة سمندر (١) ومنها انتقل إلي مدينة البيضا حيث فر إليها خاقان الخزر ووزراءه وخاصته ، وضرب عليها الحصار وضيق عليهم الخناق حتى يئس الخزر من تراجع مروان ، فخرجوا منها هائمين على وجوههم ، فدخلها مروان وأقام بها وجعلها قاعدة لانطلاق حملات الإغارة والتتبع لفلول الخزر الهاربة (٢) .

وقد تواصلت هذه الحملة إلي عام ١٢٠هـ / ٧٣٨ م ، حيث امتد نشاط مروان إلي ما تبقي من مناطق الخزر الشمالية النائية ، وفي طريق عودته إلي أذربيجان ، سلك الطرق المؤدية إلي ممالك وملوك جبال القوقاز فاستولي على ما كان قد خرج عن قبضته من حصون وقلاع (٣) .

وفي العام ١٢١ هـ / ٧٣٩م ، أعاد مروان الكرة بالهجوم على جبال القوقاز ، وكانت وجهته هذه المرة مملكة السرير وما جاورها من قلاع وحصون ، فدخلها عنوة وفرض على حكامها دفع فدية سنوية (٤) .

---

(١) سمندر : أحد أهم مدن الخزر الشمالية ، وهي من بناء الملك الفارسي أنوشروان بن قباد بن كسري وقديما كانت عاصمة الخزر ، فلما دخلها سلمان بن ربيعة الباهلي انتقل الخزر عنها إلي مدينة إتل انظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٤ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، مجـ٣ ، ص ٧١ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٢١٥ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٥٠ . John Glubb: The Empire of the Arab, P. 201 .

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ١٨١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٢٨ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٤) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ص ٣٥١ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٩٣ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ١ ، ص ١٧٥ ؛ القلقشندي ، مآثر الإنافة ، جـ١ ، ص ٩٦ ؛ محمود شوت خطاب ، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، جـ١ ، المجلد الخامس والثلاثون ، ربيع الثاني ، ١٤٠٤هـ / كانون الثاني ١٩٨٤م ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

وأعقب هذا النشاط العسكري المحموم الذي قام به مروان بن محمد والي أذربيجان- فترة من السكون طالت قليلاً إلي بداية عصر الدولة العباسية ، وللحقيقة فإن ظروف الدولة الأموية الخارجية والداخلية قد فرضت هذا السكون ، ففي سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩ - ٧٤٠م لقيت الدولة الأموية الهزيمة في الحرب مع بيزنطة في موقعة اكروينون (١) وقتل القائد عبد الله البطال (٢) ، كما أن الاضطرابات بدأت تموج في الدولة الأموية منذ أواخر عهد هشام بن عبد الملك ، ففي الشرق من الدولة الأموية قامت حركة معارضة قوية وتذمر أهل السند بسبب الجزية التي كانت تؤخذ منهم رغم دخولهم الإسلام ، ولقد حاول هشام قدر جهده وقف الفتنة والقضاء على عوامل الاضطراب ، ولكن كانت الظروف أقوي منه والأرض تميد من تحته ، ومنذ منتصف عهد هشام بدأت الأمور تضرب في الغرب وكان البربر وراء هذا الاضطراب الذي زلزل كيان الدولة الأموية بعنف ، حيث تذمر البربر من العمال العرب بعد موت عمر بن عبد العزيز لأنهم صاروا يعاملونهم معاملة سيئة ويذلونهم بأداء الجزية رغم كونهم مسلمين صادقين في إسلامهم ويشتركون معهم في الجهاد بحماس ولقد أدت هذه المعاملة إلي إيغار صدور البربر على الدولة الأموية ، كما اضطرمت الأندلس بالفتن وخرجت من حظيرة الدولة الأموية ، ولم يبق للخلافة عليها سوي سلطة اسمية واستقل الزعماء المتغلبون بحكم إفريقية بعد أن خرجت أطرافها القصوى عن قبضته الخلافة ، وأخذ ملك بني أمية يهتز فوق بركان مضطرم من الدعوة العباسية (٣) .

---

(١) موقعة اكروينون : وقعت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩م - ٧٤٠ بالقرب من ثيم الأناضول ، ولقي فيها المسلمون بقيادة البطال الهزيمة على أيدي البيزنطيين بقيادة ليو الايسوري وكانت هذه الهزيمة سببا في تضاؤل هجمات العرب على وسط آسيا الصغرى ، انظر : وسام عبد العزيز فرح ، العلاقات بين الدول البيزنطية والدول الأموية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٨٩ .

(٢) عبد الله البطال : من مشاهير القادة الأمويين اتصف بالشجاعة ، ولقد بلغ من فرط شجاعته أن قادة الروم كانوا يخشون الجيش الذي يقوده وله وقائع وقصص كثيرة . وللمزيد انظر : ابن كثير ، البدية والنهاية ، جـ٩ ، ص ٣٣٥ - ٣٣٧ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) وللمزيد من التفاصيل انظر : محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، جـ١ ، ص ١٤٠ - ١٤٦ ، العربي ، الدولة البيزنطية ، ص ١٨٦ ، وسام عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ٢٣٣ وما بعدها

وإجمالاً فقد كانت الأرض تميد تحت أقدام الأمويين . وكان هشام بن عبد الملك هو آخر خليفة أموي قوي أراد أن يؤخر النهاية المحتومة قدر الاستطاعة . وحينما بدأت الحرب الأهلية في الاندلاع في جوف الدولة الأموية عام ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م . انفرط عقد الأمان والاستقرار الذي كانت أذربيجان تتميز به خلال فترة ولاية مروان بن محمد وأقبلت إليها الفتن تموج موجاً حيث لم تكن بمنأى عما يحدث في ربوع الدولة الأموية من قلاقل وفتن فما كاد مروان يغادر إلي الشام حتى أعلنت حامية أذربيجان العسكرية العصيان بزعامة ثابت بن نعيم الجزامي ، وتحرك هؤلاء الجند إلي مناطق جبال القوقاز وتحصنوا بها فاضطر مروان إلي العودة أدراجه وقاتلهم إلي أن استطاع القبض على ثابت بن نعيم وأعوانه فوضعهم في القيود (١) .

وما كاد مروان يجاوز هذا العصيان حتى استعر الصراع المحموم بين الخوارج للسيطرة على أذربيجان ، حيث أن مروان قد استناب على المدينة عاصم بن يزيد الذي انتقل بحاميته العسكرية إلي مدينة البيلقان ، فاستغل خوارج الشراة هذا الفراغ واستولوا على أردبيل وأخذوا يحشدون حشودهم فيها وبدأ زعيمهم مسافر بن كثير القصاب في الخروج لقتال عاصم بن يزيد في البيلقان ، وبالرغم من أن عاصم أرسل إلي مروان يستنجده فأمده بجيش كبير . ولما التقي الفريقان بالقرب من نهر البيلقان ، تمكن الخوارج من هزيمة جيش الخلافة وقتل قائده عاصم واستولوا على ما كان بجيشه من غنائم وأسلاب ودخلوا مدينة البيلقان واستولوا عليها (٢) .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٢٩ ؛ فلهوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٠٨ .
(٢) الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨ .

وتولي إمرة أذربيجان بعد عاصم القائد عبد الملك بن مسلم العقيلي وأمده مروان بجيش آخر، وضم إليه بقايا جيش عاصم، وأصبحت المهمة صعبة على الوالي الجديد إذ أن الخوارج الشراة تكاثرت أعدادهم وانتشرت دعوتهم ولاقت ترحيباً كبيراً ليس في أذربيجان وحدها ولكن امتد إلي أذربيجان ومنطقة الجزيرة، ولما دارت رحى الحرب بين جيش الخلافة وخوارج الشراة في موقع يسمي جسر الحجارة، وقتل عبد الملك بن مسلم العقيلي فتولي القيادة بعده أخوه إسحاق، ودارت الحرب سجالاً بين الفريقين إلي أن تمكن إسحاق من هزيمة الشراة وقتل زعيمهم مسافر بن كثير القصاب (١).

وفي عام ١٢٨هـ / ٧٤٥م، استطاع الخارجي بسطام بن ليث التغلبي زعيم خوارج البيهسية (٢) من السيطرة على مدينة أردبيل وعدد من مدن أذربيجان وعاثوا فيها فساداً وأهلكوا الحرث والنسل واعترضوا طريق القوافل التجارية، واستولوا على كثير منها وأشاعوا الخوف والرعب بين الناس، فأرسل إليهم مروان بنائبه عبد الملك بن زيد فلم يستطع فعل شيء بل إنه لقي حتفه في قتالهم (٣) وازدادت معاناة سكان المدينة حيث تنازع الخوارج أنفسهم للسيطرة على المدينة، حيث نازع سعيد بن بهدل الشيباني بسطام الليثي السيطرة على أذربيجان، وتمكن الخيبري قائد سعيد بن بهدل من طرد بسطام الليثي من أذربيجان وأخضعها لحكم سعيد بن بهدل (٤).

---

(١) الكوفي، نفسه، نفس المصدر، جـ٨، ص ٣٣٨.

(٢) البيهسية: أحد فرق الخوارج التي تنسب إلي أبي بيهس بن جابر، ومما جاء به الولاية لأولياء الله والدار دار كفر والاستعراض فيها جائز وإن أصيب الأطفال فلا حرج، وقال: أن مخالفوه هم أعداء كأعداء رسول الله ﷺ تحل الإقامة معهم كما فعل المسلمون الأوائل، انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ٦٢٢؛ الرازي، كتاب الزينة، ص ٢٨٤؛ عمر أبو النصر اليافي، الخوارج في الإسلام، ط بيروت، ١٩٥٨، ص ١٢١.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٨٠، الحنبلي، شذرات الذهب، جـ١، ص ١٨٤

(٤) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٣٨٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ فلهوزن الدولة العربية، ص ٣٧٤.

ولم يمهل القدر سعيد طويلاً ، فبعد وفاته استخلف الخوارج الضحاك بن قيس الشيباني فأحكموا قبضتهم على أذربيجان ، وصار تحت لوائهم الآلاف من الإتباع استطاع أن يرد بهم أكثر من جيش لمروان ، وامتد نفوذهم إلي الكوفة التي سيطروا عليها (١) .

وبدأت بوادر النجاح تلوح أمام حركة الخوارج بزعامة الضحاك أكثر مما لاحت لمروان بن محمد ، الذي تعرض لضياع منطقة الجزيرة بأكملها ، مما اضطره إلي تكوين جيش ضخم قاده بنفسه والتقي بالضحاك فهزمه وقتله فاستخلف الخوارج عليهم الخيبري فالتقي به مروان هو الأخر ولم يثبت مروان هذه المرة أمام شدة هجمات الخوارج وفر من الجيش فدخل الخيبري خيمته وجلس على أريكته ، غير أن موالي مروان تكاثروا عليه وقتلوه في أواخر العام ١٢٨هـ/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦ م ؛ فاختار الخوارج شيبان بن عبد العزيز اليشكري ليقودهم ، وظل مروان يتتبع فلول الخوارج ويرسل لهم الجيش تلو الآخر حتى قتل شيبان بن العزيز اليشكري وشرذم أتباعه (٢) .

ولقد سر مروان بنهاية الخوارج سروراً كبيراً ، ولكن لم يتم له سروره ، إذ أعقبه القدر بمن هو أقوى شوكة وأعظم أتباعاً وأشد باساً من الخوارج ، وهو أبو مسلم الخراساني داعي دولة بني العباس ، وبالرغم من قدرة وكفاءة مروان العسكرية ومهارته السياسية إلا أن أيام الدولة الأموية كانت مدبرة والأرض تتزلزل من تحتهم (٣) وقبيل انتهاء الدولة الأموية كان مروان قد استناب على أذربيجان إسحاق بن مسلم العقيلي (٤) .

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف، ص ٤١٢ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، الثعالبي ، أدب الملوك ، تحقيق خليل عطية ، ط بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٧٥ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٠٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٣) وللمزيد عن تفاصيل هذه الأحداث انظر : ابن ملجة القزويني ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، ط بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٣٥ ؛ فان فلوتن ، السيادة العربية بين الشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن / محمد زكي إبراهيم ، ط القاهرة ، ١٩٣٤ ؛ ص ١١٣ ؛ راضي عبد الله ، تصفية المقاومة الأموية في العراق ومصر والشام ، مجلة المؤرخ المصري ، العدد الثاني ، يوليو ١٩٨٨ ، ص ١٢

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، جـ١ ، ص ١٩٠ ؛ صابر محمد دياب ، أرمينية ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .
Grousset : Histoire des L'Armenie , P. 318 .

أذربيجان في عصر ولاة بني العباسي :

حدث أن عمت الاضطرابات أواخر عصر الدولة الأموية ربوع البلدان الخاضعة لسيادتها ولم تكن أذربيجان بعيدة عن هذه الأحداث ، فعلى الرغم من إسدال الستار على دولة الأمويين في الشرق إثر انهزام مروان بن محمد أمام العباسيين في موقعة نهر الزاب الأكبر بشمال العراق ، ثم فراره إلي مصر ومقتله بها ، وبالرغم من أن سلطان العباسيين قد غلب على معظم أرجاء الدولة الأموية إلا أنه كانت هناك بعض جيوب المقاومة التي استعصت على جيوش العباسيين ، وكانت أذربيجان أحد أهم هذه الجيوب التي قاومت العباسيين ، حيث أعلن جيوش واليها الأموي إسحاق العقيلي العصيان ورفض الإذعان لطاعة العباسيين ، وشعر العباسيون بالعجز أمام صمود أذربيجان إلي أن يتيقن إسحاق بن مسلم العقيلي من مقتل مروان بن محمد أخر الخلفاء الأمويين فجرت المراسلات مع قائد العباسيين المحاصر لأردبيل عاصمة أذربيجان عبد الله بن على ، لأخذ الأمان والتسليم لهم (١) .

ولم تكن أردبيل بالقوة التي تجعلها تناصب الدولة العباسية الوليدة العداء والصمود في وجهها ولكن يجب أن لا نغفل أنه كان لا يزال في الأمة العربية والإسلامية قواد ضلعهم مع بني أمية ولا يزال عندهم شيء من القوة صمدوا بها في وجه الدولة العباسية إما خوفاً على أنفسهم من انتقام وسطوة العباسيين الذين أظهروا قسوة شديدة في معاملة مغلوبيهم وإما طمعاً في إعادة بعث تلك الدولة التي كانت لهم منها نصيب وافر ، وإما احتراماً ووفاءاً للعهد والبيعة التي كانت في أعناقهم لآخر الخلفاء الأمويين .

---

(١) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ٢١٩ ؛ عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين ، جـ١ ، ط القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٣ .

هذا الاستعصاء والمقاومة الشديدة التي أبدتها اردبيل جعل ولاة الأمر العباسيين يدركون مدي أهمية أذربيجان وقيمتها العسكرية يظهر ذلك في قيام أبو العباس السفاح (١٣٢هـ/١٣٦هـ/ ٧٥٠ - ٧٥٤م) بتعيين أخيه وولي عهده أبو جعفر المنصور والياً على أذربيجان فترة حكمه (١).

ولما كانت الدولة العباسية في طور التكوين ، فقد ظل المنصور إلي جانب أخيه أبو العباس السفاح واستناب عليها مجاشع بن يزيد (٢) وما أن وصل مجاشع أذربيجان حتى بدأت المتاعب تنهال على رأسه ، حيث قام الخوارج من أتباع مسافر بن كثير القصاب بجمع شتات أمرهم الذي كان قد تبعثر في أواخر عهد الأمويين ، واستولوا على أذربيجان ، وقتلوا عدداً كبيراً من حاميتها العسكرية ، وامتد نشاطهم وآثار دعوتهم إلي خارج نطاق أذربيجان ، ولما عجز مجاشع بن يزيد عن مجابهتم عزله المنصور وولي بدلاً منه محمد بن صول وأمده بجيش كبير وخوله محاربة الخوارج ، فدخل معهم في أكثر من معركة خرج منها منتصراً واضطرهم إلي الفرار إلي جبال القوقاز والتحصن بهم فحاصرهم وضيق عليهم الخناق إلي أن سلموا له فقتل منهم عدداً كبيراً وأسر زعمائهم وبعث بهم إلي أبو العباس السفاح في الأصفاد (٣).

ولم يمض وقت طويل على خلافة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م) حتى بدأ الخزر يتحرشون بالحدود العباسية ، وبدأوا في مهاجمة أردبيل أذربيجان سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ، وفي طريقهم إليها استولوا على عدد من مدن أذربيجان الرئيسية بدءوها

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٤٥٥ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ١ ، ص ١٨٤ .
(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٣٦٧ .
(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

بمدينة باب الأبواب وموقان وتفليس التي استباحوها (١) وفشل يزيد بن أسيد في ردهم عن هذه المدن وتراجع أمامهم إلي أردبيل وتحصن بها ، وأرسل إلي المنصور يسأله الإمدادات ، التي جاءته على وجه السرعة بل إنه أفرج عن سبعة آلاف من السجناء وأرسل إليه بهم ، وبوصول هذه الإمدادات قوى ساعده فخرج يزيد من أردبيل والتقي بالخزر في جبال القوقاز وأوقع بهم الهزيمة وطاردهم إلي أن أزاحهم عن أذربيجان (٢) .

وقد عزفت المصادر التاريخية عن ذكر السبب الذي حمل المنصور على الإفراج عن سبعة آلاف من السجناء ويرسل بهم إلي الجبهة في الحرب مع الخزر ، وهذه خطوة غير نمطية لا سيما في حروب الخزر ، ويمكن القول أن ظروف الدولة العباسية الداخلية قد اضطرته إلي ذلك إذ أن المنصور في ذلك الوقت كان في طور تثبيت أركان حكمه ويواجه عدداً من المشاكل الداخلية التي تحتاج إلي مساندة وتعضيد ، فمنها التخلص من أبو مسلم الخراساني ، وما ترتب على ذلك من حركات تمرد وخروج بغية الثأر من قتله (٣) وشهدت هذه السنة أيضاً ١٤٥هـ / ٧٦٢م حركة تمرد وخروج أقلقت مضجع المنصور ، ألا وهي خروج محمد بن عبد الله بن حسين (النفس الذكية) وخرج بالبصرة

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٧٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٧١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٠٤ ؛ وللمزيد انظر :

Ameer Ali : Ashort Hisytory of the saracens, London, 1900 , P. 224 .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٧١ ؛ محمد عبد الفتاح عيان ، دور الفرس في قيام الدولة العباسية ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م ، ص ١٢١ وللمزيد انظر :

M.A Shaban : Islamic History, A New interpertation , (A. D 750 – 10 55 / A . H 132 – 448) Cambridge, P. 15

(٣) عن تفاصيل دور أبي مسلم الخراساني وتفاصيل مقتله وما تبعه من أحداث انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٦٩ – ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٢ ؛ محمد جعفر محجوب ، أبو مسلم نامه سركذشت حماسي أبو مسلم خراساني، مجلة إيران شناسي ، سال دوم ، شماره ٣ ، پائيز ١٣٦٩ هـ. ش / ١٩٩٠م ، ص ٤٨٠ – ٤٩٤ .

Ameer Ali : Ashort History of saracens, P 214 – 215 , Farouk Omar : The Naturo of the Iranian Revoltes in the early ABBasid period, Islamic cultur, Vol. XLV III, No.1 , January, 1974 , P. 2 – 8 .

إبراهيم بن عبد الله بن حسين [١] وقد استنفذت هذه الحركات قوي الخلافة وشغلت جل اهتمام المنصور، وحتى لا يحدث خلل في الداخل أو الخارج، فمن الراجح أن يكون المنصور قد قام بهذه الخطوة.

وبعد نجاح يزيد بن أسيد في حربة مع الخزر ولاه المنصور أذربيجان وعهد إليه ضبطها وتسيير شئونها، فقام يزيد بالأمر خير قيام، وعمد إلي إسكان عدد كبير من الجنود في شمال أذربيجان، وطلب منهم تعميرها والإقامة في هذه المناطق والعمل على حراستها[٢].

وقد أدرك المنصور خطورة الحرب مع الخزر ورأي في استمرارها استنزافاً لقوي الخلافة، وأراد أن يضمهم إلي جبهته أو على الأقل تحييدهم وإبعادهم عن حدود الدولة العباسية فأقدم على خطورة غير تقليدية وهي التفكير في الزواج السياسي، فأرسل إلي والي أذربيجان يزيد بن أسيد يشير عليه بمصاهرة الخزر فأرسل إليه قائلاً، " أما بعد فإن البلاد لا تستقيم ولا تصلح إلا بمصاهرة الخزر، والرأي عندي أن تصاهر القوم حتى تستقيم البلاد وإلا فإني خائف عليك وعلى جميع عمالك من الخزر. فإنهم إذا أرادوا واجتمعوا غلبوا. فانظر ولا تخالف أمري واجتهد في مصاهرة الخزر. والسلام " [٣].

امتثل يزيد لأمر الخليفة المنصور، وبدأ في مراسلة خاقان الخزر يطلب منه الزواج من ابنته، فجاء الرد بالموافقة، فأصدقها يزيد مائة ألف درهم، وزفت إليه في حلة وإجلال عام١٤٥هـ/٧٦٢م؛وتعلمت شرائع الإسلام قبيل الدخول بها بعد أن أشهرت إسلامها [٤].

(١) وللمزيد من التفاصيل انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٠، ص ٨٢ – ٩٤.
(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٧١.
(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، جـ٨، ص ٣٩٢ – ٣٩٣
(٤) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، جـ٨، ص ٣٩٣.

أقامت ابنة خاقان الخزر واسمها خاتون مع يزيد مدة سنتين وأربعة أشهر شهدت العلاقة مع الخزر خلالها استقراراً وهدوءاً تاماً ، وجني العباسيون ثمار هذه المصاهرة حيث لم يسجل لنا التاريخ أي شائبة تشوب العلاقة مع الخزر . ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن وشاءت الأقدار أن تنتهي هذه المصاهرة بكارثة حيث ماتت خاتون سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤م ؛ ونقل من كان معها من جواري الخزر إلي خاقانهم خبر وفاتها فاستشاط غضباً ، وكان الأمر مدبراً ، وأخذ يعد العدة للانتقام من يزيد بن أسيد والمسلمين وبدأ مهاجمة أذربيجان (١) .

تقدمت جموع الخزر نحو أذربيجان من جبهتين ، فتقدم الفوج الأول من الشمال الغربي والفوج الثاني من الشمال الشرقي . وأدرك يزيد بن أسيد ضعف جيشه وأنه لا قبل له بهذه الأعداد فأرسل إلي المنصور يستمده ، فأرسل إليه عشرة آلاف جندي من العراق بقيادة حميد بن قحطبة ، وخمسة آلاف جندي بقيادة حرب الراوندي ، إضافة إلي ما اجتمع إليهما من جيش الشام والجزيرة ، علاوة على ما كان تحت إمرة يزيد بن أسيد من جيش بخلاف المتطوعين (٢) .

وفي الوقت الذي كان يتم فيه تجميع هذه الأعداد وترتيبها كان الخزر يتقدمون في شمال أذربيجان ويستبيحون المدن والقرى الواحدة تلو الأخرى ، ولم ينج من أيديهم مسلماً كان أو ذمياً ما بين أسرى وقتلى . فاستولوا على مدينة تفليس (٣) وأشاعوا فيها الرعب والخوف ، حيث لم تستطع المدينة الصمود أمام هجمات الخزر وقوتهم ، ثم حولوا وجهتهم وبدأت جموعهم تتقدم كقطع الليل المظلم نحو مدينة شروان حيث تتمركز جيوش

---

(١) ابن أعثم الكوفي ، نفسه ، جـ٨ ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥

(٢) ابن أعثم الكوفي ، نفسه ، جـ٨ ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١١٢ ـ ١١٣

(٣) ابن أعثم الكوفي،المصدر السابق،جـ٨،ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ١١٢ـ ١١٣.

الخلافة العباسية ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين وطال أمدها لكثرة أعداد المتحاربين ورغبة كل طرف في تحقيق الانتصار وانجلت المعركة عن هزيمة جيش الدولة العباسية ومقتل عدد كبير من عناصره ، وتعامل الخزر مع المسلمين تعامل الموتور وحازوا على ما كان في معسكر العباسيين من غنائم وساقوا في طريق عودتهم الآلاف من الأسرى (١).

وقد آلم المنصور ما حدث للمسلمين من هزيمة في معركة شروان ، وما ترتب على ذلك من قيام الخزر ببث الرعب والفزع في نفوس الناس ، وشمر عن ساعد الجد في قتالهم وقام في العام ١٤٨هـ / ٧٦٥ بتشكيل جيش ضخم جعل علي قيادته حميد بن قحطبة ، الذي قاد هذا الجيش وتقدم به نحو أذربيجان ، وأقام بها حيناً يستطلع أخبار الخزر الذين كانوا قد بدءوا رحلة العودة إلي بلادهم ، فلم يجد لهم حميد بن قحطبة أثر ولم يستطع بالتالي من منازلتهم (٢).

وقد دمر الخزر معظم الحصون والقلاع القريبة في أذربيجان وجعلوها أثراً بعد عين ولذا فقد كلف المنصور والي أذربيجان يزيد بن أسيد السلمي بإعادة بناء وترميم ما قد هدمه الخزر ، فقام يزيد بالأمر خير قيام حيث أنه أصلح القلاع والحصون التي دمرها الخزر وأقام عدداً كبيراً آخر من الاستحكامات الحربية وإن كان أظهر اهتماماً كبيراً بمدينة باب الأبواب والتي تعد البوابة الرئيسية لأذربيجان ودائماً ما كان يقتحمها الخزر في هجماتهم وأسكن بها عدداً كبيراً من المسلمين وأجري عليهم الأرزاق (٣).

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٤٨٢ ، الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٣٩٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا – مصطفي عبد القادر عطا ، مراجعة نعيم زرزور ، ط بيروت ، ١٩٩٢م / ١٤١٢هـ ، ص ١٠٨

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٩٣ ؛ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١١٣

(٣) ابن أعثم الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٣٩٥ .

وبالرغم من أن المصادر لم تذكر لنا سبباً يعتد به في قيام خاقان الخزر بهذا الانتقام الكبير، حيث أن ابنته ومن المؤكد أنها قد ماتت ميتة طبيعية ولا توجد فيها شبهة لأن هدف المنصور وقائده من هذه الزيجة السياسية مع الخزر هو حقن دماء المسلمين ووقف استنزاف قوي الخلافة، وعليه فهم يدركون جيداً أن محاولة قتل ابنة خاقان الخزر أو حتى الإساءة إليها يدمر طموحات المنصور في مهادنة الخزر ومحاولة بناء علاقة جيدة معهم ويمكن القول أن خاقان الخزر قد رأي في زواج ابنته من أحد قادة خليفة المسلمين وليس الخليفة نفسه أو حتى أحد أقاربه تقليلاً وحطاً من شأن وقدر وقدرة الخزر الذين لهم صولات وجولات في الحرب مع الدولة العباسية، كما أن العلاقة مع الخزر لم تكن يوماً من الأيام طيبة مع الدولة الإسلامية، ولم تكن هناك قواسم مشتركة بين الدولتين يمكن الاعتماد عليها وليس هناك أسس قوية بين الدولتين يمكن بناء عليها علاقة سلم جيدة ويجب أن لا ننسى الدور الذي يمكن أن تقوم به بيزنطة في إفشال أي علاقة طيبة بين الخزر والدولة العباسية وهي المتضرر الأول من هذه المصاهرة السياسية، وهي التي ترتبط مع الخزر بعلاقة مصاهرة سياسية، وفي مصلحتها بقاء العلاقة متوترة بين الخزر والدولة العباسية.

ولم تكن بعيدة عما يعصف بالدولة العباسية من أحداث ولعل أهمها حركات الزنادقة (١) في عهد الخليفة المنصور، بل إنها التاظت بنيرانها، فبعد نجاح المنصور في التخلص من أبو مسلم الخراساني قامت عدة حركات معارضة، هدفها المعلن هو الأخذ

---

(١) ترددت كثيراً لفظة الزندقة خلال العصر العباسي، لانشغال كثير من الخلفاء بالقضاء على حركات الزنادقة وقد شاع هذا اللفظ منذ أواخر الدولة الأموية ولكن على نطاق ضيق لاتهام عبد الصمد بن عبد الأعلى والجعد من درهم بالزندقة، وللمزيد عن الزندقة والزنادقة انظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ٦، ص ٢١٧؛ عبد الله السامرائي، العلو والدرق الفكرية، ص ٧٩ – ٨٠؛ تورج دابان، زنادقه درسده هاي نخستين اسلامي، مجلة إيران نامه، سال پنجم، شماره ٣، بهار ١٣٦٦هـ ش/ ١٩٨٧م، ص ٤٥٥ – ٤٦٩

بثأر أبو مسلم الخرساني ، وهدفها الخفي هو مناهضة الإسلام [١] مثل حركة سنباذ المجوسي [٢] أحد قادة أبو مسلم الذي آلمه مقتل زعيمه ، فقام ينادي بالثأر لأبو مسلم والانتقام ليس من أبو جعفر المنصور فقط بل من جميع العرب ، فأدرك المنصور خطورة هذه الحركة الهدامة ، فبعث إليه بجيش يتألف من عشرة آلاف مقاتل بقيادة جهور بن مرار العجلي فالتقي به في المنطقة بين همدان والري ، واستطاع جهور من هزيمة سنباذ وأتباعه وقتل أعداداً كبيرة منهم كان من بينهم سنباذ نفسه [٣].

وبعد مقتل سنباذ استولي جهور بن مرار على الأموال الطائلة التي كانت بحوزته والتي آلت إلي سنباذ بعد مقتل أبو مسلم الخراساني ولم يرسل بها إلي المنصور وطمع فيها واستأثر بها لنفسه ، وسولت له نفسه الخروج على طاعة الدولة العباسية ، وأخذ يستولي على المدن والقرى ويستكثر من الجنود والأموال مستمداً قوته مما في يده من خزائن وأموال وما يضمه عسكرة من أعاجم وبعض العرب الحانقين على الدولة العباسية ، فأرسل إليه الخليفة المنصور بقائده محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش عظيم ، فالتقي جهور بن مرار وبعد قتال شديد بينهما هزم مرار وفر بشرذمة قليلة من أتباعه إلي أردبيل واستولي عليها وأشاع فيها الفزع والرعب ، وأخذ ينكل بالسكان ، إلي أن استطاع جيش الدولة العباسية الذي تعقبه من إخراجهم منها وتفريقهم في مناطق جبال القوقاز [٤].

---

(١) وللمزيد من التفاصيل عن هذه الحركات ودورها في الدولة العباسية انظر : أحمد الحفناوي ، حركات ومؤمرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٣٥٥ – ٣٥٧ ؛ عبد الله رازي ، تاريخ كامل إيران ، أز تاسيس ماد تا عصر حاضر، ١٣٤٧هـ.ش،ص ١٤٤؛ مقبول بخشائي ، تاريخ إيران ، جلد دوم ، لاهور ، ١٩٦٧م ، ص ٨٠ – ٨١ .
Arnold Hottinger : The Arab, los Angeles, 1936 , P. 86 .

(٢) سنباذ المجوسي : من قرى نيسابور استولي على موال وخزائن أبو مسلم وأعلن الثورة وتبعه في دعواه الآلاف الذين بشرهم بنهاية سلطان العرب وأنه سيزحف لهدم الكعبة وسائر الأماكن المقدسة . وللمزيد انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٣٠٩ ؛ عبد الله رازي ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .
Gustave . E. von Grunebeaum : Medival Islam, Chicago, P. 205 .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٧٩ – ٨٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٣٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٨٠ .

ومن أبرز ملامح الأحداث السياسية لأذربيجان في عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) خروج أحد فرق المزدكية [١] وهي المحمرة [٢] والتي بدأت دعوتها من جرجان [٣] غير أن أصداء دعوتها ونشاط دعاتها وصلت أذربيجان ولاقت ترحيباً من سكانها وبدأوا يستجيبون لأفكارهم الخارجة ، حيث دعت هذه الحركة إلي تطبيق الحقل الاجتماعي لشيوعية مزدك ، ودعوا إلي تناول الملذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والملذات من الطعام والشراب ، والاختلاط وترك الاستبداد والاستئثار بشيء دون الآخرين ، والمشاركة في الأهل والحرم ، بحيث لا يمتنع الرجل من حرمة الأخر ولا يمنعه ، وانتشرت هذه الأفكار انتشار النار في الهشيم ، ووجدت قبولاً كبيراً في أذربيجان وشكلت خطراً على الدولة العباسية ، لذا فقد سارع الخليفة المهدي بسرعة إرسال عمر بن العلاء على رأس جيش كبير لاجتثاث هذه الحركة ، فاستطاع عمر بن العلاء من قتل زعيمها عبد القهار ومطاردة فلول أتباعه والتنكيل بهم إلي أن قضي عليهم جميعاً سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م [٥].

ونلاحظ أن هناك تناقضاً في موقف سكان أذربيجان تجاه حركة وتمرد جهور بن مرار وحركة المحمرة ففي الأولي انصرف الناس عنه ولم يمدوا له يد العون بل إنهم أخذوا

---

(١) المزدكية : نسبة إلي مزدك الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي ، وهو فارسي من نيسابور ودعا إلي مذهب ثنائي جديد يقوم على النور والظلمة ، ودعا إلي نوع من الشيوعية والإباحية والفوضى الأخلاقية . وللمزيد انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ٢٨٨ ؛ عبد الوهاب طلوب ، الرواية التاريخية الفارسية ، مجلة كلية الأداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٥٦ ، العدد ٣ ، أبريل ١٩٩٦ ، ص ١٧٤ ؛ عطاء الله تدين ، رويداد باي مهم تاريخ جهان ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٥٠ ، ص ٢٠٢ ـ ٢٣٢ ؛ علي أصغر حكمت ، تاريخ أديان ، تهران ، ١٣٤٥ ، ص ١٧١ ـ ١٧٤ ؛ إحسان شاطر ، كيش مزدكي ، إيران نامة ، سال دوم ، شماره ، باتيز ١٣٦٢ / ١٩٨٣م ، ص ١٠ ـ ٣٦ .

(٢) وللمزيد عن نشأة المحمرة وأفكارها انظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ؛ أحمد الحفناوي ، حركات ومؤمرات ومناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .

(٣) جرجان مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان. انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٤٢ ـ ٤٥ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٥٨ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ٢٥٤ .

منه موقتاً معارضاً مما جعله يقوم بقتل عدد كبير منهم ، ويمكن تفسير ذلك بأن الناس قد شعروا بأنهم لم يجنوا من تأييده شيئاً ، كما أنه جاء إليهم فاراً مهزوماً وليس معه من الجنود الكثير ، ويجب أن لا ننسى أن أذربيجان فارسية الأصل وترتبط بفارس والمجوس بوشيجة وصلة رحم ، وهي كغيرها من سائر خراسان كان فيهم تعاطفاً مع أبو مسلم الخراساني وآلمهم مقتله ورأوا في جهور بن مرار شخصاً غير مرغوب فيه وناصبوه العداء لأنه قتل قائد وتلميذ أبو مسلم الخراساني سنباذ المجوسي والذي يعد فعله في معارضة العباسيين ومحاولة الانتقام من مقتل أبو مسلم تعبيراً عما يجيش في صدور معظم الفرس ، في حين أنهم أبدوا أفكار المحمرة ولاقت منهم ترحيباً كبيراً ومرجع ذلك على الأرجح هو أن أفكارها الإباحية والفوضوية لاقت هوي في نفوس كثير من الغوغائيين الحانقين على الإسلام ، والانعكاف على الملذات هو في العادة غاية الكثير من العبيد والغوغائيين من العصاة والمفسدين ، ورأوا في هذه المبادئ تنفيثاً عما داخل نفوسهم الضعيفة من نوازع الشر التي كبتتها الشريعة الإسلامية .

وقد اشتهر عهد هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٨م) بحالات تمرد وخروج على سيطرة الحكومة المركزية ، وتميزت هذه الحركات بشدة البأس والقوة وأشهرها وأعظمها أثراً تلك التي خرج فيها الوليد بن طريف الشيباني[١] الذي عاث في منطقة الجزيرة فساداً ونهَب ما وقع تحت يده وأخذ يجمع الأتباع والموالي حتى إذا اشتد ساعده وكثر أتباعه بدأ يستولي على المدن الأرمينية الواحدة تلو الأخرى[٢] فأرسل إليه

---

(١) الوليد بن طريف : أحد أمراء العرب ، خرج بالجزيرة في ثلاثين نفساً وقتلوا تاجرا نصرانيا وأخذوا ماله ثم عاثوا في الجزيرة فسادا ، وظل عصة في حلق الخلافة إلي أن تم قتله ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جـ٦ ، تحقيق إحسان عباس ، ط بيروت ، (د.ت) ، ص ٣١ – ٣٣ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٨ ، تحقيق شعيب الارنؤط / نذير حمدان ، ط٣ بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٣١ – ٢٣٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤ ، ص ٦٤١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٤١ – ١٤٣ ، د/ أحمد رمضان ، حضارة الدولة العباسية ؛ ط القاهرة ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ ، ص ٢٧ .

الرشيد بقائده إبراهيم بن خازم على جيش ضخم ، ففشل هذا الجيش في هزيمة الوليد ورد على عقبيه وقتل قائده إبراهيم ، وحاز الوليد على ما كان في جيش الخلافة ، وقوي ساعده وذاع صيته وكثر أتباعه فاتجه إلي أذربيجان واستولي علي عاصمتها أردبيل (١).

واستيلاء الوليد على أردبيل يعد نذير شر للخلافة العباسية لأهميتها كمدينة محورية في آسيا الوسطى لا سيما بعد نجاح الوليد في رد أكثر من جيش للخلافة وتزايد أتباعه يوماً بعد يوم ، لذا فقد سارع هارون الرشيد بتعيين قائداً ذو مواصفات خاصة تتناسب مع طبيعة التمرد ، فرأي الرشيد أن يوجه إلي الوليد بن طريف من هو من قبيلته وفصيلته ربيعة أملاً في أن ينفض أتباعه من حوله ، فوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني (٢) على رأس جيش ضخم يعكس مدي اهتمام الرشيد بهذه الحركة ، ولكن على ما يبدو أن السحر قد انقلب على الساحر ولم تجدي حيلة الرشيد ، وطال أمد الحرب ولم ينفض أحد عن الوليد ، ولم يدخل يزيد في حرب مباشرة مع الوليد وظل يماكره حتى أرسل إليه الرشيد يأمره بالدخول معه في حرب مباشرة (٣) فامتثل يزيد الأمر والتحم بجيشه مع الوليد في معركة فاصلة تمكن خلالها من هزيمة أتباع الوليد وقتله وبعث برأسه إلي الرشيد سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥م (٤) ومن حركات التمرد التي شهدتها الدولة العباسية وتركت أثرها السلبي

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،جـ٩،ص ٣٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤١ – ١٤٣ ؛ د/ أحمد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) يزيد بن مزيد الشيباني : أحد القادة العباسيين المشهورين ، تولي للرشيد عدد من الولايات وتوفي ببرذعة سنة ١٨٥هـ / ٨١٠م ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٦ ، ص ٣٢٧ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، جـ١ ، ط٢ القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٤٠٠ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ٩ ،ص ٧١ – ٧٢ .

(٣) لما طال أمد الحرب بين يزيد والوليد أرسل الرشيد إلي يزيد يوبخه ويقول له : " لو وجهت أحد من الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن ومتعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلي أمير المؤمنين " انظر ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤١ – ١٤٣

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٦٤١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ١٨٧ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ١ ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩

على أذربيجان ذلك التمرد الذي قام به الفضل الراداني سنة ١٧٥ هـ/٧٩١م ، وامتد نشاطه وسيطرته على المنطقة الممتدة من مدينة باب الأبواب شرقاً إلي مدينة خلاط غرباً وقويت شوكته ، وصار يهدد أذربيجان ويحاول السيطرة عليها ، وفي كل مرة كانت الحامية العسكرية ترده على عقبه ، وسارت المدينة قاب قوسين أو أدنى أن تخضع لسيطرتهم ؛ إلى أن استطاع المعمر بن عيسى من القضاء عليهم سنة ١٧٦هـ/٧٩١م ، وقتل قائدهم الفضل الراداني واجتثاث هذا التمرد في الموصل (٤).

ومن بذور التمرد التي نبتت في أذربيجان ، حركة أبو مسلم الشاري الذي خرج بأذربيجان وأرمينية سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م ، حيث نجح في الاستيلاء على مناطق شاسعة من أرمينية وأذربيجان واستولي على الخزائن والأموال العباسية وأخذ يستكثر من الأتباع والموالي وغدا تمرده غصة في حلق الخلافة العباسية واشتد ساعده وقويت شوكته وتبعه في تمرده الكثير ، لا سيما بعد ما تكسرت على يديه جيوش للخلافة ، فهزم جيشاً قادة خالد بن يزيد بن أسيد السلمي ورد أخر يقوده العباس بن جرير بن يزيد بن عبد الله البجلي وأخر يقوده معدان الحمصي وبعد هذه النجاحات استطاع أبو مسلم الشاري أن يسيطر على مناطق جديدة في شمال جبال القوقاز ، وبدأ يتوجه نحو الجنوب في اتجاه الجزيرة والموصل ، وأقلق هذا الزحف الخليفة هارون الرشيد لا سيما بعد ما بدأ يقيم التحصينات في أردبيل ومدن القوقاز ، فأرسل إليه الرشيد جيشين دفعة واحدة الأول يقوده يحي الحرشي ، وينطلق عبر أرمينية ، والآخر يقوده يزيد بن مزيد الشيباني وينطلق عبر أذربيجان ، بحيث يتقابل الجيشان عند مدينة البيلقان حيث تراجع أبو مسلم بجيشه

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٢٧٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٣ .

وتحصن بها [١] وقبيل بدء المعركة لقي أبو مسلم حتفه فقام بأمر الشراة من بعده السكن بن موسى البيلقاني ، الذي انسحب بجيشه إلي أردبيل وتحصن بها وانتقلت إليه جيوش الخلافة العباسية وضربت الحصار على أردبيل وضيقت الخناق على من بها ولما لم يجد السكن وأتباعه تأييداً من سكان أذربيجان ورأوا انصرافهم عنهم ومناصبتهم العداء بدأ في المهادنة وطلب إجراء الصلح وأرسل إلي يزيد بن مزيد يطلب الأمان والتسليم . فأمنه وحمله إلي هارون الرشيد [٢] .

ويعود الخزر من جديد إلي واجهة الأحداث حينما حاول حاكم أذربيجان ووالياها الفضل بن يحيى البرمكي سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م إجراء مصاهرة سياسية مع الخزر مرة ثانية حيث أرسل إلي خاقانهم يطلب منه الزواج من ابنته ، وقد وافق الخاقان على إتمام هذه الزيجة سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م [٣] ولكن لم تشأ الأقدار – وللمرة الثانية – نجاح هذه المصاهرة السياسية إذ ماتت ابنة خاقان الخزر في نفس عام الزواج ، فرجع من كان معها من الجواري والعبيد إلي أبيها وأخبروه أنها قد قتلت غيلة ، وبدأ الخزر كالعادة في الاستعداد لمهاجمة أذربيجان [٤].

وفي العام التالي بدأ الخزر يتقدمون صوب أذربيجان وقبل انقضاء العام ١٨٣هـ / ٧٩٩م كان الخزر قد استولوا على أردبيل في سرعة خاطفة ولم تستطع الحاميات العسكرية من صدهم ، وأخذ الخزر ينتقمون من سكان المدينة ولم يسلم من أيديهم أهل

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ – ٤٢٨ ؛ الكوفي ، الفتوح ، جـ٨ ، ص ٤٠٩ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٢٦ – ٤٢٨ ، الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٤٠٩ – ٤١٠ .
(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٦٤٦ ، ابن الأثير الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦١ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، دون بيانات نشر ، ص ١٢٩ .
(٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٦٤٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦١ .

الذمة ، وامتدت أيديهم بالخراب والدمار إلي كل شيء من معالم المدينة ، وأتوا على الأخضر واليابس (١).

وكان على الرشيد أن يقدر الموقف تقديراً صحيحاً حتى لا يحدث كما وقع في عهد المنصور حينما تقدمت جموع الخزر حتى وصلت إلي الموصل جنوباً ، فاختار الرشيد أكفأ قواده العسكريين ، فعين يزيد بن مزيد الشيباني ويعاونه خزيمة بن خازم (٢) وجعلهما على جيش ضخم وأوكل إليهما التوجه إلي أذربيجان ومقارعة الخزر ، الذين كانوا قد أخذوا أماكنهم في أردبيل وتحصنوا بها ؛ فلما اقترب يزيد بالجيش من أردبيل خرج الخزر للاقاتهم ، ودارت بين الفريقين عدد من المعارك ، وكانت المحصلة النهائية هزيمة الخزر وفرارهم إلي بلادهم (٣).

وبالرغم من أن المصادر ذكرت أن من كان بصحبة ابنة خاقان الخزر قد ذكروا له أنها قد قتلت غيلة ولكن هذا الأمر مستبعد لأن قادة المسلمين يعرفون ردات فعل الخزر وانتقامهم ولهم معهم تجربة سابقة منذ عهد المنصور ، ومن المعلوم أن الهدف من مثل هذه المصاهرات السياسية هو توطيد العلاقات وتوثيقها ، وعقد اتفاق سلام غير مكتوب ينص على هدنه طويلة فيما بين الجانبين ، ووقف استنزاف القوى بينهما ، والمسلمون يهدفون من وراء هذه الزيجة إلي درء خطر الخزر وتحييدهم .

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص ٦٤٧ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص ٨٣ ؛ السيوطي،تاريخ الخلفاء،تحقيق طه عبد الرؤوف/ ياسر صلاح عزب ، ط القاهرة ،(د.ت) ، ص ٢٥٣ .

(٢) خزيمة بن خازم : من أكابر القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، وكان لديهم ذو مكانة كبيرة ، وشهد لهم وقائع كثيرة، ومال إلي المأمون خلال خلافة مع الأمين، انظر - ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤١٧ ؛ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١١٨ ؛ الزركلي ، الأعلام ، جـ٢ ، ط بيروت ، (د.ت) ، ص ٣٠٥ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٦٤٧ ؛ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٥٨٣ ، ابن الأثير ، الكامل، جـ٦، ص ١٦٣ ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ١ ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني ، ط بيروت ، (د.ت)، ص ٢٢٠

وبعد إخراج الخزر من أذربيجان فكان على خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إعادة بناء ما قد تهدم بفعل الخزر، فأعادا بناء أسوار مدينتي باب الأبواب وأردبيل وإقامة حصونهما ولبثا في أذربيجان فترة طويلة للإشراف على إعادة إعمارها (١).

حركة بابك الخرمي ودور أذربيجان في مواجهتها :-

تمتاز البلاد الفارسية ومنها أذربيجان بكثرة المذاهب والمعتقدات الدينية سواء في ذلك ما كان قبل البعثة النبوية لمحمد صلي الله عليه وسلم أو بعدها، ومن هذه الطوائف فرقة الخرمية (٢) والتي تنسب إلي بابك الخرمي (٣).

وهذه الحركة شرذمت منطقة جبال القوقاز، وأقلقت مضجع الخلافة العباسية ويبرز دور أذربيجان في التصدي لهذه الحركة، حيث ناءت بعبء التصدي لبابك من خلال تحولها إلي مركز القوى للخلافة العباسية بتجميع وانطلاق القوات العسكرية، ولمركزها المتوسط، فبدأ الخرمية نشاطهم منذ العام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ حيث كان أول ظهور لبابك الخرمي في حصن البذ (٤) وأخذ يستولي على المدن القريبة من هذا الحصن ويعيث فيها فساداً، وأخذ يتجه جنوباً نحو مدن أذربيجان، فخرج إليه قائد الحامية العسكرية عبد

---

(١) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص ٦٤٧؛ الأزدي، تاريخ الموصل، جـ٢، ص ٢٩٤، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٠، ص ١٩٧.

(٢) الخرمية : هي امتداد للخرمية الأولي والذين كانوا يسمون بالمحمرة، وزعيمهم هو مزدك، الذي أمرهم بتناول الملذات والاتكاف على بلوغ الشهوات، والدعوى إلي الإباحية، وللمزيد عن تفاصيل الخرمية انظر : الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٤٠٢؛ الكرديزي، زين الأخبار، تحقيق عبد الحي حبيبي، ١٣٤٧ هـ ش، ص ٧٦، أحمد الحفناوي، حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام، ص ٤٥٨؛ حسين علي ممتحن، رازيقاي تمدن وفرهنك إيران، انتشارات دانشكاه ملي إيران، ص ١٤٨ – ١٤٩؛ نيكيتا إليشيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة منصور أبو الحسن، ط بيروت، ص ٢٣٣ – ٢٣٤.

(٣) بابك الخرمي، نشأ بقرية من قرى أردبيل واتصل بجاويدان بن سهرك ملك جبال البذ وزعيم الخرمية بها، وخلفه بعد وفاته على زعامة الخرمية،انظر:ابن النديم،الفهرست،ص٤٨٠ – ٤٨١؛ أحمد الحفناوي،المرجع السابق، ص ٤٥٩؛ بارثولد هرن، تاريخ مختصر إيران، ترجمة رضا زاده شفق، طهران، ١٣١٤ هـ ش، ص ٢١ – ٢٥.

(٤) البذ : إحدى قري أردبيل الجبلية بين أذربيجان وأران، وهي شديدة التحصن، وهي غنية بالمحاصيل الزراعية والفواكة والعيون الكبريتية، انظر : معجم البلدان، مجـ ١، ص ٢٨٦؛ البكري، معجم استعجم من أسماء البلاد والمواضع، جـ١، ص ٢٣٥.

الله بن مالك في عشرة آلاف مقاتل ودخل معه في أول قتال مع الخرمية وأوقع بهم الهزيمة وأجبرهم على الفرار إلي مناطق الجبال والتحصن بها بعد أن أسر منهم أعداداً كبيرة ولكنهم سرعان ما أعادوا تجميع صفوفهم وضموا إليهم أعداداً كبيرة من المزارعين ، وسيطروا على المناطق الجبلية في أذربيجان ، فتقدم إليهم خزيمة بن خازم ولكنهم اتبعوا سياسة حرب العصابات ولم يستطع خزيمة من منازلتهم مما اضطره إلي العودة إلي أردبيل (١).

ومنذ عام ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ، بدأ الخرمية يشنون الهجمات المنتظمة بصورة شبه سنوية على أذربيجان ومحاولة الاستيلاء عليها ، لا سيما بعد أن ضاقت عليهم قرية البذ التي يتحصنون بها لكثرة أتباع الخرمية بعد انضمام أفواج كثيرة من المزارعين والغوغائيين إلي صفوفهم (٢).

وفي عام ٢٠٤هـ / ٨١٩م ، تزايدت هجمات الخرمية على أردبيل وضيقوا عليها الخناق فانبري لهم قائد المأمون يحي بن معاذ على جيش ضخم جل أفراده من الجزيرة فاشتبك مع بابك الخرمي في معركة غير واضحة المعالم ولا النتائج ، ونال كل فريق من الآخر ، وظل الوضع على هذا الحال إلي حلول الشتاء فمال كل فريق إلي فئته دون حدوث نصر لأي منهما على الآخر (٣).

وبعد انتهاء الشتاء عادت قوات الدولة العباسية مرة ثانية لقتال بابك الخرمي سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م ، والقائد هذه المرة عيسي بن محمد بن أبي خالد حيث ولاه المأمون

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك،جـ٥،ص ١٢، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص ١٩٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٠٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٢٢٣ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ص ١٠٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ١٣٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٣٢٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٢٧٠ ؛ سعيد نفيسي ، بابك خرم دين ، ص ١٤٥ ؛ ن . وبيكولوسكايا وأخرون ، تاريخ ايران ، ترجمة كريم كشاورز ، تهران ، ١٣٥٤ هـ ش، ص ١٨٩ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥١ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١ ، ص ٢٧٣ ، سعيد نفيسي ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

أذربيجان ومحاربة بابك الخرمي ، ولكن لم يستطع مجاراتهم ولم يستطع فعل شيء معهم(١) . بل إن بابك أوقع به الهزيمة تلو الأخرى حتى جعله يعود أدراجه بجيشه إلي أردبيل والتحصن بها(٢).

وغدت الأمور تنتقل من سئ إلي أسوأ في أذربيجان فبينما كانت أذربيجان تعاني الأمرين من جراء محاولات الخرمية المتكررة الاستيلاء عليها ، إذ ازداد الوضع تعقيداً بحدوث فتنة جديدة داخلها بتمرد زريق بن صدقة الأزدي ، فبعد فشل عيسي بن محمد في مواجهة الخرمية ومحاربة بابك الخرمي ، ذهب إلي الخليفة وطلب منه أن يسند إليه ولاية أذربيجان ومحاربة الخرمية فاستجاب له المأمون وأعطاه ما أراد ، وفي الطريق إلي أذربيجان أخذ يستنهض قومه وآهل قرابته لمؤازرته ، فوافاه خلق كثير من غير قرابته أيضاً ، وأصبح جيشه يربوا على الخمسين ألفاً ، ولما وصل أذربيجان دهمه الشتاء فانتقل إلي أرمينية لقضاء الشتاء بها ، وبعد انقشاع الشتاء عاد إلي أذربيجان للاستعداد لمواجهة الخرمية غير أنهم لم يمهلوه وأخذوه على حين غرة وأوقعوا به الهزيمة وأسروا عدداً كبيراً من مساعديه وقتلوا عدداً كبيراً من جيشه بينما لاذ هو بالفرار مع فئة قليلة من جيشه إلي أردبيل حيث تحصنوا بها(٣).

ولم يكن هذا هو المأمول من زريق ولهذا فقد غضب منه المأمون ولا سيما وأن انتقاله إلي أرمينية ثم العودة منها جاء بدون إذن ولا علم منه ، فقام المأمون بعزله عن أذربيجان وحرب الخرمية ، غير أن زريق لم يمتثل للأمر وظن أن فيه إجحاف ، وسولت

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٥٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٢٧٧ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٣٧٩ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ١ ، ص ٢٧٣ .
(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، جـ ،ص ١٦٦، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ١٠ ، ص ١٩٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٣٩٠ .

له نفسه العصيان وشق عصا الطاعة ، فاستأثر لنفسه على ما كان بيده وأخذ يهاجم المدن والقرى والحصون المحيطة بأردبيل ويخضعها لحكمه عنوه (١).

فولي المأمون السيد بن أنس الأزدي حرب زريق ، غير أن زريق اصبع قوة لا يستهان بها حيث قوي ساعده واشتدت قوته لا سيما بعد الاستيلاء على عدد من الحصون والقلاع المحيطة بأردبيل ، فاستطاع زريق من هزيمة السيد بن أنس ورده على عقبه وقتل عدد كبير من جيشه (٢).

وأخذ زريق يوسع دائرة نفوذه وسيطرته وذاع صيته وعلا نجمه لا سيما بعد نجاحه في هزيمة جيش الخلافة ، وعانت أذربيجان الأمرين وأصبحت بين مطرقة الخرمية وسندال تمرد زريق ، الذي بدأ يتجه جنوباً و يستولي على المدينة تلو الأخرى حتى واجهته جيوش الخلافة العباسية بقيادة محمد بن حميد الطوسي ، والتقت به عند نهر الزاب (٣) وجرت بينهما معركة كبيرة بين كروفر انتهت بهزيمة زريق وأتباعه ، فأرسل إلي محمد بن حميد يطلب منه الأمان (٤) فآمنه وأرسل به إلي الخليفة المأمون سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧م (٥).

وكمكافأة لنجاحه في القضاء على تمرد زريق ، واعترافاً بقدراته العسكرية ، قلد المأمون محمد بن حميد ولاية أذربيجان وحرب بابك الخرمي ، حيث بدأ محمد في تقوية جبهة أذربيجان الداخلية وأخذ يعبئ الجيش ويستعد بالمؤن والميرة وأرسل إلي قبائل أذربيجان لا سيما العربية منها ، يستنهضها ويطلب منها إمداده بالمقاتلين ، ولما أكمل تعبئة جيشه بدأ في الانطلاق نحو بابك الخرمي ، فكان كلما مر على حصن أو مدينة قام

---

(١) الأزدي ـ تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ .
(٢) الأزدي ، نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٣٥٩ .
(٣) انظر الخريطة الملحقة بالبحث .
(٤) الأزدي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٧٨ ــ ٣٧٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٠٧ .
(٥) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٧٨ ؛ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ٢٤٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٢٩٠ .

بإعادة تحصينها ، وترك فيها حاميات عسكرية لحراستها خوفاً من هجمات الخرمية (١).

وغير بعيد عن ذلك كانت عيون بابك وجواسيسه تراقب ما يحدث وتنقله إليه أولاً بأول ، وأخذ بابك يعد الكمائن في مناطق الجبال . فما أن تقدم محمد بن حميد بجيشه وبدأ في الولوج في مناطق أذربيجان الجبلية إلا وأخذته الخرمية على حين غرة وانقضت عليه وأوقعت في جيشه القتل والتشريد وتفرق دم جيش الخلافة بين الخرمية ، وذهبت محاولات محمد بن حميد في إرجاع الفارين من جيشه أدراج الرياح وخر صريعاً سنة ٢١٤هـ / ٨٢٩ م (٢).

وأصبحت الخرمية ونجاحاتها المتوالية في هزيمة جيوش الخلافة تؤرق مضجع الخليفة المأمون ولم يجد لها خيراً من ساعده الأيمن عبد الله بن طاهر ، فولاه أذربيجان وحرب الخرمية فقبلها عبد الله بن طاهر كارهاً (٣) وانتقل من خرسان في طريقه إلي أذربيجان ، وعلى مشارف أذربيجان الشمالية أخذ يجمع الجنود ويعد العدة لمحاربة بابك الخرمي (٤) ولكن أحداث خراسان قد اقتضت عودته ، فأرسل إليه المأمون يخيره بين ولاية خراسان ، ونيابة أذربيجان وأرمينية وحرب بابك الخرمي ، فاختار خراسان وعاد إليها مرة ثانية (٥).

---

(١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤١٢ .
(٢) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ١٨٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ١٠ ، ص ٢٦٤ ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٣١ .
(٣) الأزدي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٩٥ .
(٤) الشابشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٣٧ ؛ ابن طيفور ، كتاب بغداد ، جـ٦ ، ط سويسرا ، ١٩٠٨ ، ص ٣٦٨ ؛ خواندامير ، روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، ترجمة أحمد عبد القادر ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، ط القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ، ص ٤٩
(٥) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٢٩٢

وولي إبراهيم بن مصعب على رأس جيش من الحامية العسكرية فالتقي بهم سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م ، واستطاع أن يقتل عدد كبير من هؤلاء الخرمية وأسر عدد آخر وأرسل بهم إلي المعتصم (١).

ومنذ عام ٢٢٠ هـ / ٨٣٥م أخذت الحرب مع الخرمية منحنى جديد ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحلها ، حيث قام المعتصم بتعيين الأفشين والياً على أذربيجان وحرب الخرمية ، فأدرك الأفشين أهمية أذربيجان الحربية وقام بتحصين المدن الرئيسية القريبة بها ، واتخذ منها مركزاً للاتصال بحاضرة الخلافة ، وأعاد ترتيب الاتصالات بالمدن القريبة من أردبيل مثل برزند وأعاد تحصينها (٢).

وقام الأفشين بتنظيم البريد بين أردبيل والجيش على الجبهة مع الخرمية ، وبين سامراء وأردبيل ، فكانت الرسالة تصدر من الأفشين على جبهة القتال إلي سامراء في أقل من أربعة أيام في ظل حراسة مشددة ، كما أنه أدرك أهمية الجواسيس في حربه مع بابك فأطلق عيوناً وجواسيس لتتبع أخبار بابك أولاً بأول (٣).

وبدأ الأفشين يجني ثمار هذه التنظيمات والاستحكامات الحربية ، فبدأ التقدم نحو حصون بابك ومحاولة اقتحامها ، وفي عام ٢٢٢ هـ / ٨٣٦م خاض حرباً ضروساً مع بابك وحاول اقتحام مدينة البذ التي يتحصن بها الخرمية ، وبعد حرب شديدة نجح الأفشين في اقتحامها والاستيلاء عليها ، إلا أن بابك هرب وبعض خاصته (٤).

---

(١) الطبري٤ ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٠٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٤٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٠٦ .

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ٥ ، ص ٢١٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، ٥٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٤٩ ــ ٤٥٠ .

(٣) أحمد الحنفاوي ، حركات ومؤمرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٦١ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٦ ، الأزدي ، تاريخ لموصل ، جـ٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٠٨ ، وللمزيد انظر :
Percy sykes : History of persia, Vol.2 , London, 1963 , P. 11 .

وظل الأفشين يبحث عن بابك الخرمي ويحتال للقبض عليه إلي أن أدرك هدفه وقبض عليه وسبق هو وأتباعه إلي سامراء مقيدين في الأصفاد (١) وكان وصولهم إلي سامراء سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م يوما مشهوداً (٢).

وقد طال أمد حركة الخرمية واستعصت في أحيان كثيرة على السلطة المركزية العباسية وكان لذلك أسباب : وبادئ ذي بدئ نذكر أن العوامل الطبيعة كان لها العامل المؤثر واستغلها بابك أحسن استغلال ، فتحصن في منطقة جبلية شتاؤها قارص البرودة يتعذر على جيوش الخلافة العباسية التكيف معها ، وتضطرهم هذه العوامل إلي الانحدار إلي أذربيجان لقضاء الشتاء بها ثم مواصلة الحرب مع بداية الصيف (٣).

واتبع بابك في حربه مع الدولة العباسية حرب عصابات في المناطق الجبلية وزاد ذلك من صعوبة مهمة جيش الدولة العباسية في الدخول في حرب منظمة (٤).

وقد لاقت دعوات الخرمية الإباحية تأييداً كبيراً من بني جلدته ومن هم على شاكلته ، ووجدت مرتعاً خصباً بين أصحاب النفوس الضعيفة ودهماء العامة (٥).

ونال بابك تأييداً معنوياً من أعداء الدولة العباسية أمثال الخزر والبيزنطيين والأرمن الذين أيدوه ضد الدولة العباسية لا سيما في مراحل الحركة الأولي وذلك بعد

---

(١) الطبري ، المصدر السابق،جـ٥،ص٢٢٨ — ٢٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٦٢ — ٤٧٥ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ص ١٢٠ ، وللمزيد انظر : القزويني ، لب التواريخ ، ١٣١٤ هـ ش ، ص ٧١ ؛ علي أكبر فياض ، تاريخ إسلام ، تهران ، ١٣٢٧ هـ ش، ص ١٩٨ .

(٢) وللمزيد انظر:الطبري،المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،جـ١٠، ص٣٠٩ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ٢،ص ٥١،محمد جواد مشكور،نظرتي به تاريخ آذربيجان ، تهران ، ١٣٤٩ هـ ش، ص ١٣٧ — ١٣٨

(٣) انظر: الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٢٢١ — ٢٢٦ ؛ الأزدي ، تاريخ الموصل ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ١١ ، ص ٧٣ — ٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٦٢ .

(٤) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول في ترتيب الدول ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية تحت رقم ٣٧٠٧ / ب تاريخ ، ورقة١٤٢،محسن احمد محمود/ أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي،١٩٧٧،ص٨١ — ٨٢.

(٥) إدوارد بروي ، تاريخ الحضارات العام / القرون الوسطي ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

الانتصارات المتلاحقة التي حققها خلال الفترة الواقعة بين عامي ٢٠٤هـ و٢٠٩ هـ / ٨١٩م – ٨٢٤م ، ووصلت إلي حد قيام بابك بالتصاهر مع أحد الأمراء الأرمن (١).

وفي بعض الأحيان كان حدوث فتن وقلاقل في أذربيجان - والتي تعد خط الدفاع الأول – يؤدي إلي إضعاف الجبهة الداخلية وإنهاك قوي الخلافة في أمور جانبيه مثلما حدث عندما تمرد زريق في أردبيل ، فاضطرت الدولة العباسية إلي تحويل الاهتمام ومحاولة القضاء عليه (٢).

كما أن سوء تصرف بعض القادة مع سكان أذربيجان أدي إلي انصراف الناس عن تأييد الدولة العباسية إن لم يتحول التأييد لصالح الخرمية مثلما حدث واساء علي بن هشام (٣).

وبالرغم من القضاء على بابك الخرمي وحركته ، إلا أنه ترتب عليه حدوث قلاقل ومتاعب استمرت وطال أمدها أثرت بالسلب على أذربيجان ، فحينما بدأ الأفشين تضييق الخناق على بابك وبدأت حركته في الانزواء ، فكر بابك في فتح جبهة جديدة على الدولة العباسية ، ويشغل بها الأفشين عن قتاله ، فاتصل بالإمبراطور البيزنطي ثيوفيل بن ميخائيل يحثه ويزين له مهاجمة الدولة العباسية (٤) ووجد طلب بابك هوي في نفس ثيوفيل خاصة وأنه قد فرغ من مشكلاته في صقلية ، فانتهز الفرصة وهاجم حدود الدولة

---

(١) حسن أحمد محمود / إبراهيم الشريف ، المرجع السابق ، ص ٨١ – ٨٢ ، عبد الرحمن محمد عبد الغني ، أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ، ط الكويت ، ١٩٨٩م ، ص ١٠٢ – ١٠٣ ، نيكيتا ايلشيف ، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، ص ٢٣٣ – ٢٣٥ .

(٢) الأزدي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩ ، ٣٧٨ – ٣٧٩ .

(٣) أنظر : الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ١٨٢ ؛ ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٢١

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٢٣٥ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ١١ ، ص ٧٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٧٩ ؛ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدا والخبر ، جـ٣ ، ص ٣٢٧ – ٣٢٨ .

العباسية بجيش كبير (١).

وبعد انتهاء المعتصم من بابك الخرمي ، قام بتجميع أعداد كبيرة من الجنود ، ونجح في استعادة ما استولي عليه البيزنطيون وأعاد إلي الدولة العباسية وللإسلام هيبته وخاض بالمسلمين ملحمة عظيمة (٢).

وفي أثناء حملة المعتصم على بيزنطة وبعد الانتهاء من حركة بابك الخرمي حدث نوع من الفراغ السياسي والحربي في أذربيجان لانشغال المعتصم بهذه الحملة ، فاستغل أحد القادة العباسين هذا الأحداث حيث استولي محمد بن عبد الله الورثاني على أردبيل وأعلن التمرد والعصيان سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٨م وبالرغم من أنه لم يجد تأييداً من سكان أذربيجان إلا أنهم لم يجدوا من يعنيهم على قتاله وظلت سيطرته عليها إلى أن أرسل إليه المعتصم بقائديه منكجور ويغا وضيقا عليه الخناق ، فلما وجد انصراف الناس عنه طلب الأمان فأمناه وقدما به على المعتصم (٣).

وبعد افتضاح أمر الأفشين (٤) واكتشاف شعوبيته وزندقته والمؤامرة التي كان يحيكها وعلاقته بالمازيار (٥) وما كانا يدبران بالاشتراك مع بابك الخرمي لتهديد الإسلام

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٧٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣١٠ ، عبد الرحمن محمد ، أرمينية ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .
M.A Shaban : Islamic History , P. 59 , John Glubb : The Empier of the Arab, P. 344

(٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٧٨ – ٧٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣١١ - ٣١٣

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٧٥ ؛ الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

(٤) عن طبيعة وتفاصيل مؤامرة الأفشين انظر : الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٠ – ٢٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٥١٠ – ٥١١ ، ٥١٧ – ٥١٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣١٧ – ٣١٨ ، ابن وادران ، تاريخ العباسيين ، تحقيق المنجكي للكعبي ، ط بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٤٩٠ .

(٥) المازيار : تولي طبرستان في خلافة المعتصم ، وتظاهر بالإسلام وسمي نفسه محمد ، وهو من اتباع المزدكية واتصل ببابك الخرمي والأفشين وتراسلوا سرا واتفقوا على مناهضة الإسلام ومحاولة النيل منه إلي أن اكتشف أمرهم. عن تفاصيل ذلك انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٩٥ ؛ أحمد الحفناوي ، حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، ص ٤٦٤ ؛ ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات إيران، جلد أول، تهران،١٣٤٧ هـ ش ، ص ٦٣ ؛ مجتبي مينوي وصادق هدايت ، مازيار ، جاب دون ، تهران ، ١٩٥٤ ، ص ٣٧ – ٥٤ .

وليس الدولة العباسية وحدها (١) فقد حاول منكجور (٢) – الذي كان الأفشين قد استنابه على أذربيجان – الانتقام من الدولة العباسية ، حيث أعلن العصيان والتمرد ، وقام بجمع الأنصار والأتباع من قرابته وقرابة الأفشين وتحصن باردبيل ، فأرسل إليه المعتصم بقائدة بغا ، فضرب عليه الحصار وضيق عليه الخناق ، فلما لم يجد منكجور من أهل أذربيجان النصرة والتأييد ورأي انصرافهم عنه ، أرسل إلي بغا يطلب الأمان ، فأمنه وعاد به إلي سامراء (٣).

وبانتهاء عهد المعتصم بدأت المشاكل تواجه خليفتة الواثق (٢٢٧ – ٢٣٢هـ / ٨٤١ – ٨٤٦م) فقد اضطربت الأمور اضطراباً شديداً في أرمينية وأذربيجان ، ففي أردبيل قادت بعض القائل العربية حركة تمرد وعصيان وخروج على سلطة الدولة العباسية وناصبتها العداء ، واستولي ملوك جبال القوقاز على مدينة باب الأبواب ، وأخذ نطاق التمرد يمتد إلي أرمينية وبقية مدن أذربيجان فأرسل إليهم الواثق بقائده خالد بن يزيد بن مزيد في جيش كثيف ، حيث بدأ في ضبط الأمور وظل يقاتل حتى وافته المنية فخلفه ابنه محمد الذي استطاع أن يفرض سيطرة الدولة العباسية على المناطق التي كانت قد تمردت وضبط الأمور في أذربيجان (٤) .

---

(١) عن تفاصيل ذلك انظر : الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٤٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٤٩٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣١٤ ؛ أحمد العفناوي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٤ – ٤٦٥ .
John Glubb : The Empiere of the Arab, P. 347 .

(٢) منكجور : كان قريبا من الأفشين وساعده الأيمن في قتال بابك الخرمي ، ولما تولي أردبيل أخذ يوطد نفوذه ، ولما تنل الأفشين استولي على أموال طائلة كانت له وظن أنها ستساعده في عصيانه فأعلن التمرد . انظر الطبري ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣١٥ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٧٧ ، ٤٨٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٥٠٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣١٥ ، ٣١٧ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٤٨١ ؛ مروان المدور ، الأرمن عبر التاريخ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .